

د. عائض القرني

التفسير الميسر

جزء تبارك

العبيكان
Obekon

© مكتبة العبيكان، ١٤٢٨هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

القرني، عائض بن عبدالله
جزء تبارك من التفسير الميسر / عائض بن عبدالله القرني . - الرياض، ١٤٢٨هـ
٤٤ ص؛ ٢٠ × ٢٧,٥ سم.
ردمك: ٩ - ١٧٨ - ٥٤ - ٩٩٦٠
١ - القرآن - التفسير الحديث
ديوي ٦, ٢٢٧
أ. العنوان
١٤٢٨ / ٢٤٢

رقم الإيداع: ١٤٢٨ / ٢٤٢

ردمك: ٩ - ١٧٨ - ٥٤ - ٩٩٦٠

الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م

حقوق الطباعة محفوظة للناشر

امتياز التوزيع

شركة مكتبة العبيكان
Obekon

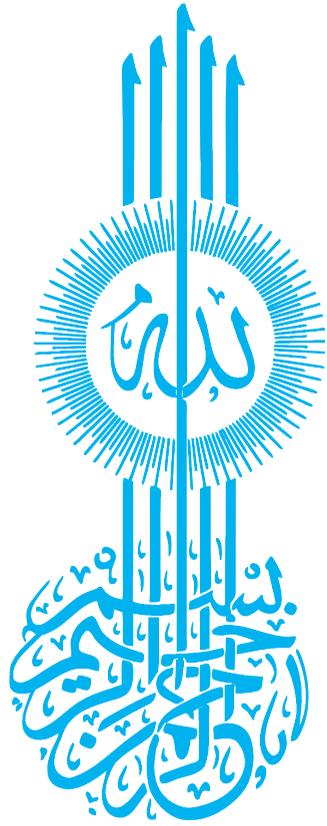
الرياض - العليا - تقاطع طريق الملك فهد مع العروبة
هاتف ٤١٦٠٠١٨ / ٤٦٥٤٤٢٤ فاكس ٤٥٦٠١٢٩
ص.ب. ٦٢٨٠٧ - الرمز ١١٥٩٥

الناشر

شركة العبيكان للأبحاث والتطوير
Obekon

الرياض - شارع العليا العام - جنوب برج المملكة
هاتف ٢٩٣٧٥٧٤ / ٢٩٣٧٥٨١ فاكس ٢٩٣٧٥٨٨
ص.ب. ٦٧٦٢٢ - الرمز ١١٥١٧

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو نقله في أي شكل أو واسطة، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية،
بما في ذلك التصوير بالنسخ «فوتوكوبي»، أو التسجيل، أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من الناشر.



مُقَدِّمَةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه
أما بعد:

فهذا تفسير يسير سهل قريب قدمتُ فيه المعاني بأسلوب مفهوم، ولغة واضحة، فلا أذكر فيه الآيات المتشابهة بل أبقيتها في مواضعها، وكذلك لا أورد أحاديث ولا آثاراً إلا فيما ندر باختصار، وقد أعرضتُ عن الأقوال والخلافيات، وعمدتُ إلى الراجح والظاهر من الآية، ولم أورد فيه شواهد شعرية، ولم أبحث مسائل نحوية ولا قضايا لغوية ولا وجوه قراءات، ولا إسرائيليات ولا نقولات عن العلماء ولا استطرادات، وإنما اقتصرت على زبدة القول، وخلاصة الكلام، وربما أذكر بعض الحكَم واللطائف والفوائد والأسرار - إذا وُجدت - بإيجاز، وقد التزمتُ منهج السلف أهل العلم والإيمان، وجانبتُ مذاهب المخالفين لهم.

ولأن القرآن كتاب هداية ورشد، حرصتُ على بيان هذا الهدى، فاطَّرحت الأقوال الغريبة والشاذة والضعيفة والبعيدة، وحرصتُ على القول الصحيح الثابت المشهور.

أسأل الله الحي القيوم أن ينفعني بهذا التفسير، وينفع به من طالعه أو سمعه، أو طبعه أو وزَّعه، ويجعله سبباً لي ولهم في نيل رضوانه، والفوز بسكنى جنانه، إنه سميع مجيب. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

عائض بن عبدالله القرني





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

تعالى الله عن الأنداد، وتتنزه عن الأضداد، وتقدس عما سواه في الذات والأسماء والصفات، وتكاثر خيره، وعم بره على جميع خلقه، بيده ملك الدنيا والآخرة، وله السلطان المطلق، أمره نافذ، وقضاؤه ماضٍ، وحكمه فصل، لا يعجزه أمر ولا يتعاضمه شيء؛ لأنه قدير.

﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُورُ ﴾

الذي خلق الموت والحياة، فأحيا من العدم، وأفنى الأمم، ليختبر الناس أيهم أخلص عملاً وأصوبه، فالإيمان امتحان الإنسان، فإما أن يطيع الرحمن، أو أن يتبع الشيطان، والله عزيز لا يعجزه شيء لا يغالب، عز فقهر، وحكم فقدر، وهو يغفر جميع الذنوب لمن تاب، ويتجاوز عن خطايا من أناب. وفيها ترغيب في الطاعة وزجر عن المعصية.

﴿ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوُّتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ ﴾

وهو الذي خلق سبع سماوات شداد بناها بقوة، وزينها للناظرين، ورفعها بلا عمد، وجعل بعضها فوق بعض، ومن رحمته سواها وأحسن مبناها وجملها وأعلاها، لا ترى فيها اختلافاً ولا تبايناً، فأعد البصر وتأكد بتكرير النظر هل ترى فيها من شقوق أو صدوع؟ بل بناء محكم، وصنع منظم.

﴿ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَائِسًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾

ثم كرر النظر مرة بعد مرة، يرجع إليك البصر ذليلاً صاغراً عن أن يرى نقصاً، عجز والله أن يبصر عيباً، فصار متعباً كليلاً، مرهقاً ذليلاً.

﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيْطَانِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴾

ولقد جملنا السماء الدنيا بنجوم باهية، وكواكب زاهية، وصيرناها شهباً محرقة لمسترقى السمع من الشياطين، وتحفظ السماء من المردة؛ ليبقى الوحي محفوظاً من النقص والزيادة، وهياناً للشياطين وأتباعهم ناراً موقدة، وجحيماً مؤصدة، في عمد ممددة.

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَسَاءَ الْمَصِيرُ ﴾

ولن كفر بالله - وهو الذي خلقهم ورزقهم - عذاب دائم في جهنم، وساء معادهم وقبح مردهم، لا يموتون فيها، ولا يخرجون منها، ولا يرحزون عنها.

﴿ إِذَا الْقَوُافِحُ سَمِعُوا لَهَا شَهيقًا وَهِيَ تَفُورٌ ﴾

إذا طرح الكفار في النار سمعوا لها شهيقاً وزفيراً؛ لأنها تضطرم اضطراباً شديداً، أكل بعضها بعضاً، وغلت غلياناً شديداً ذاب من حرها الحجر فكيف بالبشر.

﴿ تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلْتُمْ خَزَنَتَهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴾

تكاد النار تتمزق من شدة غيظها على الكفار، فهي تتوقد وتحترق، كلما طرح في النار جماعة من الكفار سألتهم الملائكة الموكلون بالعذاب، موبخين لهم: أما جاءكم في الدنيا رسول ينذركم هذا العذاب، ويحذركم هذا العقاب؟!

﴿ ٩ ﴾ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾

قال الكفار لخزنة النار: بلى قد جاءنا رسول من الله فحذرنا وأنذرنا، وبيّن لنا الحق من الباطل، لكننا كذبناه وحاربناه، وقلنا: ما نزل الله على بشر من شيء، وما أوحى الله إلى أحد وحياً، ما أنتم - أيها الرسل - إلا بعيدون عن الصواب، ضالون عن الحق واهمون.

﴿ ١٠ ﴾ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾

وقالوا - مقربين بضلالهم معترفين بجرمهم - : لو كنا نسمع سماع قبول واستجابة، ونفكر تفكير فقه وإصابة ما كنا في أهل النار مستوجبين لغضب الجبار، فلم نسمع القول، ولم نفكر في المعنى.

﴿ ١١ ﴾ فَأَعْرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحِقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾

فأقروا بالكفر واعترفوا بالذنب الذي استحقوا به غضب الرب، فبعداً وهلاكاً لهم وخزياً وخسراناً لمن هذا حاله، وإلى النار مآله.

﴿ ١٢ ﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾

إن الذين يخافون الله فيعبدهونه ولا يعصونه، ويطيعونه وهم لا يرونه، ويخلصون له وهم غائبون عن عيون الناس، ويخشون عذاب النار قبل معاينتها بالأبصار، فلهم العفو من الله عن الذنوب، والستر على الخطايا، والثواب العظيم والأجر الكريم في جنات النعيم.

﴿ ١٣ ﴾ وَأَسْرَأُ قَوْلُكُمْ أَوْ أَجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾

وسواء أخفيتم الأقوال أم أعلنتموها فهي سواء عند الله، فإنه يعلم السر وأخفى، فالجهر والعلانية عنده سواء؛ لأنه يعلم مضمورات الصدور، فكيف يخفى عليه ما ظهر من الأمور؟

﴿ ١٤ ﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾

ألا يعلم سبحانه الأقوال والأعمال خفيها وظاهرها، سرها وعلانياتها، وهو الذي لطف علمه حتى علم الدقيق، واطلع على الخفي، وأحاط بكل شيء علماً حتى علم ظاهره وباطنه، ولم يفته من علمه شيء.

﴿ ١٥ ﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾

والله وحده الذي صيّر لكم الأرض فراشاً ومهاداً للاستقرار والعمار، وبسطها وسوّاها للحياة والمعاش، وجعلها ذلولاً، فسيروا في نواحيها، واطلبوا الرزق في أطرافها، وتناولوا ما أباحه الله لكم من خيراتها، وليست دار مقر، إنما دار عبور وممر؛ فسوف تموتون ثم إلى الله تبعثون، وعنده تحاسبون، فأعدوا العدة وأصلحوا الزاد.

﴿ ١٦ ﴾ ءَأَمِنْتُمْ مِّن فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾

هل أمنتم - أيها الناس - الله - سبحانه - الذي هو في السماء مستوٍ على عرشه أن يغضب عليكم بمعاصيكم؛ فيخسف بكم الأرض ويزلزلها عليكم فيهلككم ويدمركم.

﴿ ١٧ ﴾ ءَأَمِنْتُمْ مِّن فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْمُونَ كَيْفَ نَذِيرٌ ﴿١٧﴾

هل أمنتم الله الذي في السماء عالٍ على خلقه مستوٍ على عرشه أن يرسل عليكم ريحاً شديدة ترميكم بالحجارة؛ فإذا رأيتم العذاب وعاينتم العقاب علمتم صحة تحذير الله لكم، وتيقنتم صدق تخوفه لعباده على السنة رسله.

﴿ ١٨ ﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾

ولقد كذب بالرسل أقوام من الأمم قبل كفار مكة؛ كقوم نوح، وعاد، وثمود وغيرهم، فانظر كيف كانت نهايتهم؟ وكيف أنكرت عملهم بتدميرهم وإنزال أقسى العقوبات بهم؟ فصاروا لمن بعدهم عبرة، وفي الدهر مثلاً.

﴿ ١٩ ﴾ **أُولَئِكَ يَرْوُونَ إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفًى وَيَقْبِضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ** ﴿ ٢٠ ﴾

لماذا لا يتفكر الناس في خلق الطير وهي فوق رؤوسهم في السماء؟ تبسط أجنحتها عند الطيران، وتقبضها عند الوقوف، سابحة في الهواء، من الذي أمسكها من الوقوع وحفظها من السقوط إلا الله الذي برحمته عم خلقه برعايته ومنها الطير، إنه بصير بالخلقة في الخلق والتقدير والإبداع والتصوير.

﴿ ٢٠ ﴾ **أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصَرُّكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ** ﴿ ٢١ ﴾

بل من هو الذي ينصركم في زعمكم إذا أراد الله بكم سوءاً؟ ومن هو حزبكم الذي يدافع عنكم، ويصرف عنكم الأذى غير الرحمن، لكن الكفار في زعمهم هذا في خديعة واغترار.

﴿ ٢١ ﴾ **أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ** ﴿ ٢٢ ﴾

من هو الرزاق لكم غير الله إذا أمسك الله رزقه عنكم؟ غير أن الكفار مستمرون في الطغيان، دائبون في معصية الرحمن، مستكبرون عن قبول الحق، نافرون من سماع الصدق، لا سماع استجابة، ولا عمل إصابة.

﴿ ٢٢ ﴾ **أَفَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** ﴿ ٢٣ ﴾

أفمن يسير منكوساً على وجهه رأسه أسفل ورجلاه أعلى لا يبصر طريقاً ولا يهتدي لسبيل، انقلبت عليه الأمور، هل هذا أهدى وأبصر ممن يمشي على طبيعته منتصب القامة، عارفاً طريقه، سالكاً السبيل الواضح في رشد وسداد، وهذا مثل الكافر والمؤمن في الغواية والهداية.

﴿ ٢٣ ﴾ **قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ** ﴿ ٢٤ ﴾

قل لهؤلاء الكفار: الله وحده الذي أنشأكم من العدم، وغذاكم بالنعم، ومنحكم السمع لسماع الأصوات، والبصر لمشاهدة المراتب، والقلوب لتدبر المعلومات، فما أقل شكريكم على نعم ربكم، قابلمت الإحسان بالكفران، والامتنان بالنكران.

﴿ ٢٤ ﴾ **قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ** ﴿ ٢٥ ﴾

والله وحده الذي خلقكم من العدم، وبتكم في الأرض، وإليه وحده تعودون؛ ليوفي كل عامل ما عمل، فمنه البدء وإليه النهاية، وأعاد وتكفل برزق العباد، وإليه المعاد.

﴿ ٢٥ ﴾ **وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** ﴿ ٢٦ ﴾

ويقول الكفار: متى البعث والنشور؟ ومتى خروجنا من القبور؟ تكذيباً واستبعاداً، أخبرونا بهذا الأجل إن كنتم صادقين فيما تدعون، مصيبين فيما تزعمون.

﴿ ٢٦ ﴾ **قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ** ﴿ ٢٧ ﴾

قل لهم - أيها النبي - إن موعد قيام الساعة لا يعلمه إلا الله، قد اختص الله بعلمه لم يطلع عليه أحداً من خلقه، لا ملكاً مقرباً، ولا نبياً مرسلأ، فليست مهمتي الإخبار بل الإنذار، فما جئت لأخبركم متى قيام الساعة، لكن أتيت أذكركم أهوالها.

﴿ ٢٧ ﴾ **فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيَّتَتْ وَجُوهَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهٖ تَدْعُونَ** ﴿ ٢٨ ﴾

فلما رأى الكفار عذاب الملك الجبار قد اقترب منهم وعينوه، ودنا منهم وأبصروهم، شاهت وجوههم، وقبحت مناظرهم، وعلاهم الذل والصغار والكآبة والغبار، وقيل لهم - تقريباً - : هذا ما كنتم تستعجلون من العذاب، وتستبعدونه من العقاب، نزل بكم يوم الحساب.

﴿ ٢٨ ﴾ **قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ الْعَذَابِ** ﴿ ٢٩ ﴾

قل - أيها النبي - لهؤلاء الكفار: أخبروني إن توفاني ربي وتوفى من معي من المؤمنين، أو رحمتنا فأخّر موتنا إلى أجل معلوم، وصرف عنا عذابه وردنا عنا عقابه، فمن يحميكم أنتم من أخذ الله، ومن يمنعكم من غضب الله إذا أرادكم بعذاب موجع وعقاب فظيع.

﴿ ٢٩ ﴾ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَّنَا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسْتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿

قل للكفار: ربي الله الذي عمت رحمته، وعظم حلمه، صدقنا قوله واتبعنا تنزيله، واعتمدنا عليه، وفوضنا أمرنا إليه، فستعلمون - أيها المكذبون - هل نحن أو أنتم في ضلال ظاهر، وغواية عظيمة، وانحراف عن الحق كبير؟

﴿ ٣٠ ﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْحَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴿

قل - أيها النبي - للكفار: أخبروني لو اختفى ماؤكم في قعر الأرض، ورسب في باطنها ولم تقدرُوا على إخراجها، فمن غير الواحد الأحد يعوضكم بماء عذب زلال يجري على ظاهر الأرض تبصرونه بالعيون في الآبار والأنهار والعيون؟!



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ ١ ﴾ رَبِّ الْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿

(نون)، الله أعلم بمراده به، مع العلم أن له معاني جليلة ومقاصد نبيلة، وأقسم قسمًا بالقلم الذي يكتب به الملائكة والبشر، فإن القلم جليل القدر، عظيم النفع، شريف المحل، وأقسم بما يكتبون به من أخبار نافعة، وأحكام مفيدة، وعلوم مباركة، وآثار خالدة.

﴿ ٢ ﴾ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿

ما أنت - يا محمد - بما أنعم الله عليك به من الرسالة بذاهب العقل، أو طائش الفكر، أو فاقد الرأي، بل أنت المعصوم الملهم، والمحفوظ المسدد، تام الإدراك، كامل الرشد على هداية ربانية وعناية إلهية .

﴿ ٣ ﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿

وإن لك عند الله أجرًا عظيمًا، وثوابًا كريمًا، على تبليغك الرسالة، وهدايتك للناس من الضلالة، أجرًا غير منقوص وغير مقطوع.

﴿ ٤ ﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿

ووالله إنك - يا محمد - على خلقٍ عظيم من كريم السمائل، وجميل الفضائل، وأشرف المناقب، وأجل المواهب، فهو ﷺ مَضْرَبُ المثل في كل خُلُقٍ نبيل وكل نهج جليل، فقد كان خُلُقُه القرآن، يتمثل أوامره وينتهي عن نواهيه.

﴿ ٥ ﴾ فَسَتَبْصُرُونَ وَيُبْصِرُونَ ﴿

فسوف يظهر لك - أيها النبي - ويظهر لأعدائك الكفار أيكم أهدى سبيلاً، وأقوم طريقاً، وأحسن نهجاً، إذا بدت عواقب الأمور وخواتم الأحداث.

﴿ ٦ ﴾ بِأَيِّكُمْ الْمَفْتُونُ ﴿

وسوف تعلم - يا محمد - ويعلم أعداؤكم أيكم الخاسر في دينه، المصاب في عقله، حينها يُعرف المفتون وبين المجنون.

﴿ ٧ ﴾ إِنَّ رَبِّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿

إن الله يعلم الشقي من التقي، والضال من المهتدي؛ لأنه لا تخفى عليه خافية، ولا يغيب عنه شيء، علم ما حوته الضمائر، واطلع على ما أكنته السرائر.

﴿ ٨ ﴾ **فَلَا تَطْعُ الْمُكْذِبِينَ**

فاستمر على هداك واثبت على دينك، فأنت على الحق وهم على الباطل، فلا تطعمهم في آرائهم، ولا تتبع أهواءهم.

﴿ ٩ ﴾ **وَدُّوا لَوْ نُذِرُهُمْ فَيُدْهِمُونَكَ**

تمنوا أن تلاتينهم بترك شيء من دينك، وتصانعهم بموافقتهم على بعض ما يرون، وهم أيضاً يلينون لك ببعض الموافقة لتلتقي معهم على أمر موافق؛ لأنهم على غير بينة ولا برهان.

﴿ ١٠ ﴾ **وَلَا تَطْعُ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ**

ولا تطع - أيها النبي - كل فاجر كثير الأيمان بالزور والبهتان، كذاب هانت عليه نفسه، حقير لا مروءة له.

﴿ ١١ ﴾ **هَمَّازٍ مَّشَاءً بَنِيماً**

مغتاب للناس يلزم الأعراس، ويطلب المعاييب، ينقل الكلام البين الآثام؛ لزرع الفتنة والإفساد بينهم، فهو فاسد في نفسه، مفسد لغيره، حريص على قطع الأواصر والتفريق بين المؤمنين.

﴿ ١٢ ﴾ **مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَيْمٍ**

بخيل بالخير عن غيره من مال وجاه وخلق، يعتدي على حقوق الله وحقوق خلقه، لا تردعه تقوى، كثير الآثام من خصام، وأكل حرام، وأذية الأنام.

﴿ ١٣ ﴾ **عُتْلٍ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ**

شديد في كفره، قوي في مكره، ممعن في فجوره، فاحش في أفعاله، لئيم في خصاله، غير منسوب إلى أب، فلا مروءة، ولا حسب، ولا شهامة، ولا أدب.

﴿ ١٤ ﴾ **أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ**

لأجل أنه صاحب مال وأولاد، يمعن في الفساد والكفر برب العباد، وكان الأولى به أن يشكر ولا يكفر، ويتواضع ولا يتكبر.

﴿ ١٥ ﴾ **إِذَا تَلَّىٰ عَلَيْهِ إِذْنَنَا قَالَكَ أَسْطِرُّ الْأُولِينَ**

إذا قرئ عليه القرآن قال: هذه أساطير، وخرافات الأولين القدماء، ولا قيمة لها.

﴿ ١٦ ﴾ **سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرُطُورِ**

سنجعل على أنفه علامة من الخزي والعار والملامة، يفتضح بها أمام الناس.

﴿ ١٧ ﴾ **إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ**

إننا اخترنا هؤلاء الكفار، بالجوع والقحط ونقص الثمار، كما اخترنا أصحاب البستان الذين حلفوا ليقطعن ثماره في الصباح الباكر، وعلى حين غفلة من المساكين؛ حتى لا يعطوهم شيئاً.

﴿ ١٨ ﴾ **وَلَا يَسْتَنُونَ**

أقسموا ولم يستنوا في الأيمان، وجزموا ولم يجعلوا ذلك تحت مشيئة الرحمن.

﴿ ١٩ ﴾ **فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ**

فأنزل الله على الحديقة حريقاً وهم مستغرقون في نومهم، فأخذت على غفلة منهم جزاء قصدهم قطفها على حين غفلة من الفقراء.

﴿ ٢٠ ﴾ **فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ**

فأصبحت بعد الحريق مثل الصريم أي القطعة من الليل البهيم، هادمة سوداء، لم تبق فيها شجرة خضراء.

﴿ ٢١ ﴾ **فَنَادُوا مُصْبِحِينَ**

فصاح بعضهم ببعض وقت الصباح، ليبادروا النهار قبل أن يراهم مسكين، أو يحس بهم فقير، وهذا شأن البخيل يستتر عن الناس.

﴿ ٢٢ ﴾ **﴿ أَنْ أَعْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَرِيمِينَ ﴾**

وطلب بعضهم من بعض أن يبيكروا إلى بستانهم لحصده قبل أن يطرقهم صاحب حاجة بخلاً منهم بثمار الزروع، فعملوا بالإبكار لقطع الثمار.

﴿ ٢٣ ﴾ **﴿ فَأَنْظَلُّوْا وَهَمْ يَنْخَفُونَ ﴾**

فأسرعوا إلى بستانهم يسرون حديثهم لئلا يسمعون أحد من أهل البلد، وهذا شأن الشحيح، يخفي شخصه وصوته؛ بخلاً بماله وطعامه.

﴿ ٢٤ ﴾ **﴿ أَنْ لَا يَدْخُلْنَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ ﴾**

اتفقوا على منع أي مسكين من دخول البستان، فقد أجمعوا على ذلك فبكروا وأخفوا أشخاصهم بالظلام، وأسروا الكلام، وعجلوا بالصرام.

﴿ ٢٥ ﴾ **﴿ وَعَدُّوا عَلَىٰ حَرْدٍ قَدِيرِينَ ﴾**

وذهبوا مبكرين مع حقدهم على المساكين، وقصدتهم السيء من البخل على المحتاجين، واعتقدوا بقدرتهم على تنفيذ إرادتهم في منع الفقراء من ضيافتهم.

﴿ ٢٦ ﴾ **﴿ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ ﴾**

فلما رأوا الحديقة في حريقة مسودة هامة، قالوا: ربما أخطأنا طريقنا فهذه ليست حديقتنا بعدما تغيرت معالمها.

﴿ ٢٧ ﴾ **﴿ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴾**

فلما عرفوا أنها حديقتهم قالوا: بل حرمتنا خيرها بقصدنا السيء في منع المساكين من ثمارها، وهذا جزاؤنا حل بنا.

﴿ ٢٨ ﴾ **﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلْأَقْلَ لَكُمْ لَوْلَا سُبْحُونَ ﴾**

قال أعدلهم وخيرهم: ألم أنصحكم بالاستثناء في اليمين، ورد المشيئة لرب العالمين.

﴿ ٢٩ ﴾ **﴿ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾**

فقالوا - بعدما راجعوا أنفسهم وندموا على فعلهم - : تنزه الله عن ظلمنا فيما أصابنا، بل نحن ظلمنا أنفسنا بسوء فعلنا بترك الاستثناء ومنع الفقراء، والبخل بالعتاء.

﴿ ٣٠ ﴾ **﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَوَّمُونَ ﴾**

فرجع بعضهم على بعض بالملامة بعد الأسف والندامة، فتحسروا من سوء صنيعهم، وقبح مقصدهم في البخل.

﴿ ٣١ ﴾ **﴿ قَالُوا إِنَّا ظَالِمُونَ ﴾**

قالوا: يا ويلنا إنا تجاوزنا الحد في معصيتنا لربنا بمنعنا الفقراء من الصدقة وما أصابنا إلا بذنوبنا. والظغيان منع الحق أو مجاوزة الحد.

﴿ ٣٢ ﴾ **﴿ عَسَىٰ رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴾**

عسى ربنا أن يعوضنا أفضل من حديقتنا بسبب توبتنا من خطيئتنا، إنا إلى الله وحده راغبون، نطمع في ثوابه، ونخاف من عقابه.

﴿ ٣٣ ﴾ **﴿ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَالْعَذَابُ الْآخِرَةُ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾**

مثل عقابنا لأهل الحديقة نعاقب في الدنيا كل من مآل عن الطريقة، فكل من بخل بالنعيم عاقبناه بأنواع النقم، ولعذاب الآخرة أشد من عذاب الدنيا، لو كانوا يعلمون هذه الحقيقة؛ لتركوا كل سبب يوجب العقاب، ولكن الجهل يورد صاحبه المهالك.

﴿ ٣٤ ﴾ **﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ﴾**

إن للذين اتقوا ربهم بفعل ما أمر واجتنب ما عنه زجر، جنات فيها نعيم مقيم، وأجر عظيم، في جوار رب كريم.

﴿ ٣٥ ﴾ أَفَجَعَلُ الْمُنَافِقِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿ ٣٥ ﴾

أفجعل من أطاع ربه وانقاد لأمره كمن كفر به وتجاوز حدوده، هذا لا يكون، فالمسلم مأجور مشكور، والمجرم مخذول مدحور.

﴿ ٣٦ ﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿ ٣٦ ﴾

ما لكم في حكمكم الجائر تساوون بينهم في الفضل والثواب، وهم ليسوا سواء في عملهم.

﴿ ٣٧ ﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿ ٣٧ ﴾

أم عندكم كتاب منزل من الله تقرؤون فيه هذا الحكم الجائر الذي يساوي بين التقي والشقي، فأنتم تدرسون فيه هذا الحكم، فلا العقل وافقتم، ولا النقل اتبعتم.

﴿ ٣٨ ﴾ إِنْ لَكُمْ فِيهِ لَمَّا تَحْوِرُونَ ﴿ ٣٨ ﴾

إن لكم إذاً في هذا الكتاب ما تشتهون، فهو مع أهوائكم في سوء اختياركم، والصحيح أن هذا ليس موجوداً، فلا كتاب لديكم ولا دليل يؤيدكم.

﴿ ٣٩ ﴾ أَمْ لَكُمْ آيَاتُنَا عَلَيْنَا بَلَاغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنْ لَكُمْ لَمَّا تَحْكُمُونَ ﴿ ٣٩ ﴾

أم لكم عهد علينا موثقة مثبتة في أنه سيحصل لكم ما تحبون وتشتهون، بل هذه أمان لا تُحَقَّقُ.

﴿ ٤٠ ﴾ سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ ﴿ ٤٠ ﴾

سل - أيها النبي - الكفار أيهم بهذا الحكم كفيلاً وضامناً أن الأمر يحصل كما أرادوا؟ وليس لهم على الزعم كفيلاً، وعلى الدعوى دليل.

﴿ ٤١ ﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿ ٤١ ﴾

أم لهم آلهة تضمن لهم ما ادعوه، وتعينهم على ما طلبوه، فليحضروهم إن كانوا صادقين فيما قالوه.

﴿ ٤٢ ﴾ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿ ٤٢ ﴾

يوم القيامة يشتد الخطب، ويعظم الكرب، ويأت الله - تعالى - لفصل القضاء بين الناس، ويكشف عن ساقه الكريمة التي لا يشبهها شيء، ويأمر الناس بالسجود في العرصات، فالمؤمنون الذين سجدوا له في الدنيا يستطيعون السجود في الآخرة، والكفار والمنافقون يصعب عليهم السجود، ويصبح ظهر أحدهم طبقاً واحداً لا ينحني؛ لأنهم رفضوا السجود في الدنيا.

﴿ ٤٣ ﴾ خَشِيعَةً أَبْصَارُهُمْ زَهْفُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَلِيمُونَ ﴿ ٤٣ ﴾

منكسرة أبصارهم من الخوف تغشاهم ذلة شديدة، وقد كانوا في الدنيا يُؤْمَرُونَ بالسجود لله في الصلاة مستطيعين أصحاء، فلا يسجدون؛ كبراً وعتواً، فعوقبوا بحرمانهم السجود يوم القيامة.

﴿ ٤٤ ﴾ فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿ ٤٤ ﴾

فذرني - أيها النبي - والمكذبين بهذا القرآن، فسوف أنتقم منهم وأعذبهم، وسنمدهم بالنعيم ونصب عليهم الدنيا ونسوقهم إلى الهلاك من حيث لا يشعرون بالخطر ولا يدرون بسبب الهلاك، فيؤخذون على غرة.

﴿ ٤٥ ﴾ وَأُمْلِ لَهُمْ إِنْ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿ ٤٥ ﴾

وأملهم ليزدادوا إثماً، وأطيل أعمارهم في الدنيا، فينغمسون في لهوهم، إن كيدي بأعدائي قوي شديد؛ لأنه لا يظهر للعاصي حتى يقع فيه.

﴿ ٤٦ ﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ﴿ ٤٦ ﴾

هل تسأل - أيها النبي - الكفار أجره دنيوية على تبليغ الرسالة والدعوة إلى الله؟ فهم مثقلون بغرامة الأجرة، قد كلفتهم بهذه الأجرة حملاً ثقيلاً، والصحيح: أنك تدعوهم لوجه الله وأجرك على الله، فلماذا يتبرمون من دعوتك؟!

﴿٤٧﴾ **﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ﴾**

هل اطلعوا على علم الغيب فهم يكتبون عن علم ويحكمون عن عدل حينما يرون أنهم أفضل من أهل الإيمان؟ وهم في الحقيقة جاهلون عبدة أوثان، لا علم عندهم ولا برهان.

﴿٤٨﴾ **﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾**

فاصبر - أيها النبي - لما حكم ربك وقدر من إمهاله لمن كفر وتأخير النصر والظفر، ولا تكن كيونس صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما استعجل أمر ربه وغضب على قومه وهرب منهم، فالتقمه الحوت، فدعا ربه بعد أن امتلأ غمًا وهماً وكرهاً، فنادى بكلمة الفرج مستغفراً تائباً فنجاه ربه.

﴿٤٩﴾ **﴿لَوْلَا أَنْ تَدَارَكُهُ رِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾**

لولا أن الله أنقذه بلطفه وأدركه برعايته بعدما أعلن توبته؛ لطرحت من بطن الحوت في البيداء المهلكة بلا غذاء، ولا ماء، ولا كساء، مع الملامة على تقصيره.

﴿٥٠﴾ **﴿فَأَجْنِبْهُ رَبُّهُ، فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾**

فاصطفاه الله برسالته إلى قومه، وأعادته إلى وطنه داعيةً إلى سبيله؛ صالحاً مصلحاً حسن منه الحال والفعال والمقال.

﴿٥١﴾ **﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيَرْتَفُونَكَ أَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾**

ولقد أوشك الكفار أن يسقطوك بالأبصار؛ عداوةً لك وبغضاً لما سمعوا كلام الواحد القهار، ويتهمونك بالجنون؛ ليقدحوا في شخصك الكريم، فيبطلوا دعوتك إلى الصراط المستقيم.

﴿٥٢﴾ **﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾**

وما القرآن إلا موعظةٌ للبشر، وتذكير لمن ادكر، ونصائح لمن اعتبر، فمن شاء آمن، ومن شاء كفر.

آياتها ٥٢	ترتيبها ٦٩
--------------	---------------

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ **﴿الْحَاقَّةُ﴾**

الحاقة هي القيامة التي يحق فيها الحق ويبطل الباطل، ويتحقق فيها الوعد والوعيد، والثواب والعقاب.

﴿٢﴾ **﴿مَا الْحَاقَّةُ﴾**

ما القيامة الواقعة حقاً في صفتها وأحوالها وأخطارها وأحوالها. والاستفهام للتفخيم، والإبهام للتعظيم.

﴿٣﴾ **﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾**

وما أعلمك - أيها النبي - بحقيقة القيامة، فهي فوق الوصف وأعظم من التصور، خبرها هائل، ونبوها عظيم.

﴿٤﴾ **﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ﴾**

كذبت ثمود، قوم صالح، وعاد، قوم هود بالقيامة التي تفرع القلوب بهولها، فقد سبق هؤلاء الأقسام قومك في التكذيب، فاصبر كما صبر الرسل من قبلك.

﴿٥﴾ **﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾**

فأما ثمود فأهلكهم الله بصيحة خلعت قلوبهم، وأزهقت أرواحهم، ودمرت مساكنهم من شدتها.

﴿ ٦ ﴾ **﴿وَأَمَّا عَادُ فَاهْلَكُوهَا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَلَيْهِتِ﴾**

وأما عاد فأهلكهم الله بريح شديدة قوية، تدمر كل شيء بأمر الله، لها صوت عظيم، وسرعة هائلة.

﴿ ٧ ﴾ **﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾**

سلطها الله عليهم سبع ليالٍ وثمانية أيام متتابة بلا فتور ولا انقطاع، فأهلكتهم فصارت جشهم بعد الموت كأصول النخل المقطوع المطروح على وجه الأرض.

﴿ ٨ ﴾ **﴿فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾**

فهل تبصر لهم بقية بعد الهلاك، أو نفساً حية بعد الدمار، بل قطع دابرههم ولم يبق منهم أحداً.

﴿ ٩ ﴾ **﴿وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكِثُ بِالْحَاطِطَةِ﴾**

وأتى فرعون ومن قبله من الأمم المكذبة: قوم لوط بالفعلة الشنيعة والخطيئة الفظيعة من الكفر بالله تعالى والخطايا والسيئات.

﴿ ١٠ ﴾ **﴿فَعَصَا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً﴾**

فكل أمة عصت رسولها فكذبوه وآذوه فأخذهم الله أخذة قوية، وعاقبهم عقوبة شديدة.

﴿ ١١ ﴾ **﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَا نُوحًا فِي الْجَارِيَةِ﴾**

إننا لما زاد الطوفان وتجاوز حده في عهد «نوح» حملنا أجدادكم في السفينة مع نوح، وأنقذناكم من الغرق.

﴿ ١٢ ﴾ **﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِبَهَا أُذُنٌ وَعِيَةٌ﴾**

لنجعل تلك الواقعة التي أهلكنا فيها الكافرين ونجيننا المسلمين عبرةً وعظةً، وتحفظها كل أذن حافظة لما يقال، وتعقل ما تسمع.

﴿ ١٣ ﴾ **﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾**

فإذا نفخ الملك في القرن النفخة الأولى عند هلاك العالم وهي نفخة واحدة تفني الأحياء، وتتغير بسببها الأرض والسماء.

﴿ ١٤ ﴾ **﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾**

واقطعت الأرض والجبال، ثم رفعتا فزلزلتا ودكتا وصارت هباءً في الهواء بهزة واحدة قوية هائلة.

﴿ ١٥ ﴾ **﴿فِيَوْمِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾**

حينها تقوم القيامة وتقع الساعة التي هي أعظم حدث سيعرفه الإنسان في الأكوان.

﴿ ١٦ ﴾ **﴿وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾**

وتصدعت السماء وتشققت، فإذا هي بعد القوة والسمك مسترخية لينة ضعيفة البناء والتماسك.

﴿ ١٧ ﴾ **﴿وَالْمَلِكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَةٌ﴾**

والملائكة على أطراف السماء واقفون على جوانبها، ويحمل عرش الله - عز وجل - ثمانية من الملائكة العظام، لا يعلم قوتهم إلا الملك العلام.

﴿ ١٨ ﴾ **﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾**

حينها تعرضون على الله للحساب من ثواب وعقاب، لا يخفى على الله من أسراركم شيء، قد علم السرائر، واطلع على ما في الضمائر.

﴿ ١٩ ﴾ **﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَى كَيْفِيَّةً بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَوْفَىٰ وَأَكْبَىٰ﴾**

فأما من أعطاه الله كتابه بيمينه لإيمانه ويقينه فيا قررة عينه وقتها، يقول من الفرح والسرور: خذوا طالعوا كتابي، إنني أيقنت بحسابي، فأحسنتم عملي ليحسن الله ثوابي.

﴿ ٢٠ ﴾ **﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْقٍ حِسَابِيَّةٍ﴾**

إنني آمنت بلقاء ربي للحساب، وتيقنت بالبعث بعد الموت، فأخذت للعرض عدته.

﴿ ٢١ ﴾ ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴾

فهو في عيشة هنيئة، حياة رضية، من بهجة النفس وقرّة العين، نعيم دائم، ومقام كريم.

﴿ ٢٢ ﴾ ﴿ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴾

في جنة مرتفعة المكان، فيها كل ما يشتهيّه الإنسان في جوار الرحمن، وفي سرور ورضوان وروح وريحان.

﴿ ٢٣ ﴾ ﴿ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴾

ثمارها قريبة دانية، وأغصانها لينّة متدلّية، تصل إلى أهل الجنة في سهولة ويسر.

﴿ ٢٤ ﴾ ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْفَالِيَةِ ﴾

كلوا واشربوا بلا منّ وأذى، ولا تكدير ولا تنغيص، مع الأمن والسلام، في أحسن مقام، وأطيب إكرام، وأجزل إنعام؛ جزاءً لأعمالكم الصالحة في أيام الدنيا السالفة.

﴿ ٢٥ ﴾ ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوثِقَ كَتَبُهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ بَلَيْتَنِي لَرَأُوتَ كِتَابِيَةَ ﴾

وأما من أُعطي كتابه بشماله لسوء أعماله، وقبح أفعاله فينادي من التحسّر: ليتني لم أُعطَ كتابي لسوء حسابي.

﴿ ٢٦ ﴾ ﴿ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَةَ ﴾

ليتني لم أعلم بجزائي هذا؛ لأنه عذاب أليم، وعقاب فظيع على سوء العمل.

﴿ ٢٧ ﴾ ﴿ بَلَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴾

يا ليت الموت الذي ذقته كان نهاية أمري، ولم أبعث من قبري، ولم أقف في حشري.

﴿ ٢٨ ﴾ ﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَةَ ﴾

ما نفعتني مالي الذي جمعته وللأزمات ادخرته، وقد خزنته وخدمته، فخذلني اليوم.

﴿ ٢٩ ﴾ ﴿ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَةَ ﴾

ذهبت حجتني ولم يعد لي حجة أحتج بها، وفُقد جاهي وسلطاني وجندي وأعواني، وخذلني إخواني.

﴿ ٣٠ ﴾ ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴾

يقول الجبار - سبحانه - لخزنة النار: خذوا هذا المجرم العنيد والفاجر المرید، فاجمعوا يديه إلى عنقه مغلولاً، وألقوه في جهنم مدحوراً مخذولاً.

﴿ ٣١ ﴾ ﴿ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴾

ثم أدخلوه النار يصلّى حرها، ويدوق آلامها، ويقاسي نكالها، ويعاني أغلالها.

﴿ ٣٢ ﴾ ﴿ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴾

ثم أدخلوا في جسمه سلسلة من حديد طولها سبعون ذراعاً تدخل مع فمه وتخرج مع دبره، وهذه غاية العقوبة، ونهاية العذاب.

﴿ ٣٣ ﴾ ﴿ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴾

إنه كان لا يصدق بالهوية الله، ولا يذعن لعبوديته، ولا يعترف بوحدانيته، والله المستحق للعبادة عظيم الذات والصفات.

﴿ ٣٤ ﴾ ﴿ وَلَا يَحْضُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴾

ولا يحث غيره على إطعام المساكين والمحتاجين، فهو بخيل ويأمر الناس بالبخل.

﴿ ٣٥ ﴾ ﴿ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ ﴾

فليس له يوم القيامة قريب ينفعه، ولا ولي يشفع له، ولا ناصر يدافع عنه.

﴿ ٣٦ ﴾ ﴿ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴾

ولا طعام له إلا من صديد أهل النار، وقیح الفجار، وبتن الكفار.

﴿ ٣٧ ﴾ لَا يَأْكُلُ هَذَا الطَّعَامَ إِلَّا مَنْ أَسْرَرَّ عَلَى الْآثَامِ، وَلَمْ يَتَّبِعْ مِنَ الْإِجْرَامِ، وَكَفَرَ بِالْإِسْلَامِ.

﴿ ٣٨ ﴾ فَلَا أَقْسَمُ بِمَا تُبْصِرُونَ

فلا أقسم بما تبصرون من المرئيات، وتشاهدونه من المخلوقات.

﴿ ٣٩ ﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ

وأقسم بما لا تبصرونه من الكائنات، وما غاب عنكم من سائر الموجودات.

﴿ ٤٠ ﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ

إن القرآن العظيم يتلوه رسول كريم، صادق في قوله، بار في فعله، شريف في فضائله.

﴿ ٤١ ﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ

وما هذا القرآن بقول شاعر كما تزعمون، وتصديقكم بالحق قليل، فما أقل إيمانكم وما أكثر كفركم.

﴿ ٤٢ ﴾ وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَا نُنذِرُونَ

وليس القرآن بسجع كهان، بل هو كلام الرحمن، قليلاً ما يكون عندكم تفكر، وتأمل الفرق بين القرآن وسجع الكهان.

﴿ ٤٣ ﴾ نَزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ

ولكن القرآن كلام رب العالمين، نزل به الروح الأمين على قلب محمد؛ ليكون من المنذرين.

﴿ ٤٤ ﴾ وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَابِيلِ

ولو ادعى علينا محمد شيئاً لم نقله، ونسب إلينا كلاماً لم نتكلم به - وحاشاه ﷺ - وهذا تنزلٌ عقلي في الجدل، وافتراس في النظر.

﴿ ٤٥ ﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ

لانتقمنا منه وأخذنا منه باليمين، وهذا وعيد شديد، وترهيب بعذاب رهيب، لو حصل أن تقول علينا محمد ﷺ وحاشاه أن يفعل.

﴿ ٤٦ ﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ

ثم لقطعنا منه نياط قلبه الذي هو مصدر الوعي والحياة، فلا يعيش بعده، فالحياة والموت بيد الله تعالى.

﴿ ٤٧ ﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَنِيزِينَ

فلا يقدر أحد منكم أن يحجز عقابنا عنه ولا يمنعه منّا، فلا يحول بين الله وعباده أحدٌ من خلقه.

﴿ ٤٨ ﴾ وَإِنَّهُ لَلذِّكْرُ لِلْمُتَّقِينَ

وإن هذا القرآن لعظةٌ عظيمةٌ لمن اتقى الله وخافه، وامتنل أمره، واجتنب نهيه.

﴿ ٤٩ ﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ

وإننا لنعلم أن منكم من يكذب بهذا القرآن بعد سطوع بيانه، وظهور برهانه، وجلالة سلطانه.

﴿ ٥٠ ﴾ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ

وإن التكذيب بالقرآن لندامة على الكفار عبدة الأوثان حينما يدخلون النيران، ويرون المؤمنين في الجنان.

﴿ ٥١ ﴾ وَإِنَّهُ لِحَقِّ الْيَقِينِ

وإن القرآن لحق ثابت، ويقين لا شك فيه، منزلٌ بالحق، موحى إلى محمد ﷺ بالصدق.

﴿ ٥٢ ﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ

فنزّه الله - عز وجل - عما لا يليق به فما نسبه إليه أعداؤه أو كذبوا بكتابه أو رسوله، فإنه عظيم - عز وجل - في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، فالتسبيح نفي للنقص، والتعظيم إثبات للكمال.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ ١ ﴾ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَقِيعٍ ﴿

دعا داعٍ من الكفار على نفسه وقومه بعذاب الجبار وهو واقع بهم في النار، فلماذا يستعجلونه في هذه الدار؟! ﴿

﴿ ٢ ﴾ لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴿

وهذا العذاب الشديد هو للكفار بالوعد والوعيد، فليس لهذا العذاب مانع يمنعه من الله، ولا راد يرده من الواحد الأحد.

﴿ ٣ ﴾ مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿

والعذاب من الله - جل جلاله - ذي العلو والجلالة، وهذا دليل على عظيم قهره، وعلو قدره، وقوة أمره.

﴿ ٤ ﴾ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿

تصعد الملائكة وجبريل إليه - سبحانه - في يوم قدره خمسون ألف سنة من سني الدنيا، وهو يوم القيامة الذي هو على المؤمن مثل الصلاة المكتوبة.

﴿ ٥ ﴾ فَأَصْبَرَ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿

فأصبر - أيها النبي - على أذى الكفار صبراً لا جزع فيه من الأذى، ولا تبرماً، ولا شكوى.

﴿ ٦ ﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿

إن الكفار يستبعدون عذاب يوم الحساب، فهم يرونه غير واقع، فلا يؤمنون به.

﴿ ٧ ﴾ وَنَزَلَهُ قَرِيبًا ﴿

ونحن نرى يوم الحساب واقعاً قريباً لا محالة كائناً لا شك فيه، قد قرب حصوله، وأوشك وقوعه.

﴿ ٨ ﴾ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْهَلِّ ﴿

إذا قامت القيامة تكون السماء سائلة مثل حثالة الزيت ذابت من الحر، وسالت من الهول.

﴿ ٩ ﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴿

وحينها تصبح الجبال كالصوف المنفوش الذي هبت به الريح فانتشر مثل الهباء في الهواء.

﴿ ١٠ ﴾ وَلَا يَسْتَلُ حِمِيمٌ حَمِيمًا ﴿

ويوم القيامة لا يسأل القريب عن قريبه، ولا يعتني بشأن غيره، كلٌّ مشغول بنفسه، دهاه ما أذهله عن كل أحد.

﴿ ١١ ﴾ يَبْصُرُونَهُمُ الْبُصْرَ أَلْبَابًا يُوقَعُونَ فِيهَا لَوْ لَأَنَّكَ الْكَاذِبُونَ وَسَاءَ مَا يَصِفُونَ ﴿

يرونهم بالأبصار ويعرفونهم بالقلوب، ومع ذلك لا يستطيع أحد أن ينفع أحداً، ذهبت المعرفة، وبطلت القرابة، ويتمنى الكافر لو يفدي نفسه من عذاب القيامة بأبنائه، وهم أحبُّ الناس إليه، لكن هول الكرب ذهب بالحب، ولكن هيهات ذلك.

﴿ ١٢ ﴾ وَصَحْبَتَهُ وَأَخِيهَ ﴿

وتمنى الكافر لو يفدي من العذاب بزوجه بعد المودة والرحمة والمحبة، لكن الخوف أنساه، ويريد لو يفدي بأخيه بعد رابطة القرى.

﴿ ١٣ ﴾ وَفَصَّلَتْهُ الَّتِي تُوْبِيهِ ﴿﴾

ويتمنى الكافر لو يفتردي من العذاب بعشيرته التي تضمه، وقبيلته التي ينتمي إليها، فقد ضاع الحسب والنسب.

﴿ ١٤ ﴾ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ﴿﴾

ويتمنى أن يفتردي من العذاب بكل ما في الأرض من الناس وغيرهم حتى ينجو من العذاب، فالمهم عنده نفسه فحسب.

﴿ ١٥ ﴾ كَلَّا إِنَّهَا لَأُنَىٰ ﴿﴾

ليس الأمر كما تمناه، فلا بد له من ورود النار التي تلتهب من شدة حرها، وتضطرم بأهلها.

﴿ ١٦ ﴾ نَزَاعَةً لِلشَّوَىٰ ﴿﴾

ومن شدة حرها تنزع جلدة الوجه والرأس، وتشوي أطراف البدن، حتى يصير الجسم كالفحم.

﴿ ١٧ ﴾ تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿﴾

تنادي من أعرض عن الإيمان، وطاعة الرحمن، واتباع الشيطان، وانغمس في دنياه وهواه.

﴿ ١٨ ﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ﴿﴾

جمع المال ومنع حق الله فيه، وصار خازناً وخادماً له، صرف في تحصيله الأوقات، واشتغل به عن الطاعات.

﴿ ١٩ ﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلُقٌ هَلُوعًا ﴿﴾

إن الإنسان جُبِلَ على الجشع، وطُبع على الطمع، فهو شديد الحرص، قوي التعلق بالدنيا.

﴿ ٢٠ ﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿﴾

إذا أصابه المكروه كثر جزعه، وإذا مسه البؤس اشتد أسفه، فلا يصبر على العسر، ولا يحتمل الضر.

﴿ ٢١ ﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿﴾

وإذا مسه الخير منعه عن غيره، يمسك معروفه، ويمنع إحسانه، فمن طبيعة الإنسان الطمع فيما لم ينل، والبخل بما سُئِلَ.

﴿ ٢٢ ﴾ إِلَّا الْمُصْلِينَ ﴿﴾

إلا من أقام الصلوات وحافظ على الأوقات، فالصلاة تعينه على الجود والصبر والقناعة.

﴿ ٢٣ ﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿﴾

وهم مستمرين على إقام الصلاة لا يشغلهم عنها شاغل، معلقة قلوبهم بالمساجد، جعلت الصلاة قرّة عيونهم.

﴿ ٢٤ ﴾ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿﴾

وفي أموالهم نصيب معروف، وهي الزكاة المفروضة يؤدونها بطيبة نفسٍ وامتنالٍ أمر.

﴿ ٢٥ ﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُورِ ﴿﴾

يعطونها من سألها ومن تعفف عنها، ومن طمع ومن قنع، فخيرهم مبدول لباغيه والمتجافي عنه.

﴿ ٢٦ ﴾ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيِّمَاتِ اللَّهِ ﴿﴾

والذين يصدقون ببيمات النشور فيعملون بالمأمور، ويتركون المحذور، ويستعدون له بعمل مبرور.

﴿ ٢٧ ﴾ وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُسْتَفِقُونَ ﴿﴾

والذين هم من عذاب الله خائفون لا يأمنون مكر الله، ولا يستهينون بعقابه، قد عملوا الصالحات، واجتنبوا المنهيات؛ طلباً للنجاة.

﴿ ٢٨ ﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿﴾

إن عذاب الله لا يأمنه مؤمن، بل تجده حذراً خائفاً وجلالاً؛ لأنه صدق بوقوعه، أما الفاجر فقد أمن العذاب فأساء العمل.

﴿ ٢٩ ﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿﴾

والذين يحفظون فروجهم من الحرام، ويصونونها عن الفاحشة؛ خوفاً من ربهم.

﴿ ٣٠ ﴾ **إِلَّا عَلَىٰ أَرْوَاحِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ** ﴿٣٠﴾

إلا على أرواحهم وإمائهم، فالله لا يأخذهم على ذلك، بل أباحه لهم، فهم يحلون ما أحلَّ الله ويحرّمون ما حرّم.

﴿ ٣١ ﴾ **فَمَنْ ابْتغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ** ﴿٣١﴾

فمن طلب لقضاء شهوته غير الزوجات والملوكات فقد اعتدى في المحرمات، وتجاوز الحد في المنهيات.

﴿ ٣٢ ﴾ **وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ** ﴿٣٢﴾

والذين يحفظون ما اتّمتنهم الله على أدائه من حقوق لله ولخلقه، ويحفظون العهود فلا ينقضونها، والعقود فلا ينكثونها، بل يوفون بها.

﴿ ٣٣ ﴾ **وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ** ﴿٣٣﴾

والذين يؤدون شهاداتهم بالصدق، ويقولونها بالحق بلا تغيير ولا كتمان ولا تأثر فيها، محابة للأقرباء أو شنان للأعداء.

﴿ ٣٤ ﴾ **وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ** ﴿٣٤﴾

والذين يحافظون على الصلاة كما شرّعت فلا يخلّون بواجباتها ولا يضيعون أوقاتها، بل يؤدونها على أكمل وجه صفةً ووقتاً.

﴿ ٣٥ ﴾ **أُولَٰئِكَ فِي جَنَّةٍ مَّكْرُومٍ** ﴿٣٥﴾

أولئك الأبرار - الذين اتصفوا بتلك الأوصاف الجميلة - خالدون في جنات النعيم مع الفوز العظيم، والمقام الكريم.

﴿ ٣٦ ﴾ **فَالَّذِينَ كَفَرُوا قَبْلَكَ مُطَّعِينَ** ﴿٣٦﴾

فما للكفار أمامك - يا محمد - قد أقبلوا مسرعين مدّوا إليك أعناقهم، وقصدوك بأبصارهم ذاهلين متعجبين؛ علماً أن الذي جئت به لا يدعو إلى العجب؛ لأنه حق ظاهر.

﴿ ٣٧ ﴾ **عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ** ﴿٣٧﴾

يجتمعون عن يمينك وعن شمالك جماعات متفرقة يتساءلون متعجبين مما جئت به؛ لأنه خالف ما عليه آبائهم من شرك.

﴿ ٣٨ ﴾ **يَطْمَعُ كُلُّ أُمَّرٍ مِنْهُمْ أَنْ يَدْخُلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ** ﴿٣٨﴾

هل يطمع كل واحد من هؤلاء الكفرة الفجرة أن يدخله الله جنة النعيم وقد خالف الصراط المستقيم، وكذّب القرآن العظيم، وحارب النبي الكريم؟!

﴿ ٣٩ ﴾ **كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ** ﴿٣٩﴾

ليس الأمر كما يطمعون، فالجنة عليهم حرام، وقد خلقناهم من ماء حقيق مهين كغيرهم من البشر، فلا يؤهلهم ذلك لدخول الجنة، إلا من عمل عملاً صالحاً، أما مجرد الأصل فإن أصلهم كسواهم لا مزية لهم.

﴿ ٤٠ ﴾ **فَلَا أَقْسِمُ رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَدِيرُونَ** ﴿٤٠﴾

يقسم الله بنفسه - جل جلاله - وهو الذي خلق مشارق الشمس والقمر، والنجوم والكواكب، ومغاربها، وفيها آيةٌ على بديع صنعه، وعظيم خلقه على أنه - سبحانه - قادر على ما أراد لا يعجزه أمر.

﴿ ٤١ ﴾ **عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ** ﴿٤١﴾

أقسم - سبحانه - على أنه قادر على أن يستبدل بالكفار قومًا أفضل منهم وأطوع، وأكرم على الله من هؤلاء المشركين الذين كفروا به، وكذبوا رسوله ﷺ، وليس هناك أحد يفوت الله أو يعجزه أو يخرج على حكمه أو يتحصن من قضائه إذا أراد به شيئاً.

﴿ ٤٢ ﴾ **فَلَرَّهْمُ يَخْضَوْا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ** ﴿٤٢﴾

فاترك - أيها النبي - الكفار يخوضوا في الباطل، ويلعبوا في الدنيا، فأقوالهم لاهية، وأفعالهم عابثة، وأعمارهم ضائعة؛ حتى يلاقوا يوم الحساب؛ ليدوقوا فيه العذاب، فجزاؤهم ليس في الدنيا وإنما في الآخرة.

﴿يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَانَتْهُمْ إِلَىٰ نُصْبٍ يُؤْفَسُونَ﴾ ﴿٤٣﴾

ذلك اليوم يخرجون فيه من القبور مسرعين كسرعتهم في الدنيا إلى آلهتهم التي عبدوها من دون الله، يهرولون إليها ليجدوا هناك جزاءهم المنتظر، وعقابهم المعد.

﴿خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرَهِفُهُمْ ذَلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ ﴿٤٤﴾

ذلت من الكفار الأبصار، وعلاها المهانة والعار، لما عاينوا النار، ذلك يوم القيامة الذي وعدوا به في الدنيا، فاستهزؤوا وكذبوا، فالآن يرونه رأي العين.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿١﴾

يخبر الله - سبحانه - أنه أرسل نوحاً ﷺ برسالة التوحيد إلى قومه، وأمره أن يحذر قومه عذاب الله المؤلم إن لم يؤمنوا بالله ويتبعوا نوحاً.

﴿قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿٢﴾

وقال لهم نوح: يا قوم إني نذير لكم من عذاب شديد، لا لبس في دعوتي بل هي واضحة مفهومة.

﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا﴾ ﴿٣﴾

أن وحدوا الله، وامتثلوا أمره، واجتنبوا نهيه، واتبعوني فيما أدعوكم إليه، وهذا منهج الإخلاص لله والمتابعة لرسوله ﷺ، وهما عمودا الفلاح والنجاة.

﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٤﴾

يصفح عن ذنوبكم، ويتجاوز عن خطاياكم، ويمد في أعماركم، ويبارك في أوقاتكم، ويؤخر الأجل إلى وقت معين في علم الله؛ لأن الأجل إذا نزل فلا تأخير فيه، لو كنتم تعلمون ذلك لسارعتم إلى الإيمان وطاعة الرحمن، ولكن الجهل أوردكم موارد العصيان.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ ﴿٥﴾

قال نوح: يا رب إني اجتهدت في دعوة قومي إلى الإيمان طيلة الليل والنهار، وهذا دليل على شدة الحرص، واستفراغ الوقت في الدعوة.

﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا﴾ ﴿٦﴾

فما زادتهم دعوتي إياهم إلى الإيمان إلا هروباً وإعراضاً، وكان الواجب عليهم الاستجابة والقبول، ولكنهم رفضوا الحق.

﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أُصْغُرًا ۚ فَمَا أَصْبَعُ لَهُمْ فَمَا أَذَانِهِمْ وَاسْتَفْسَوْا بَيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾ ﴿٧﴾

وإني كلما دعوتهم ليغفر لهم جعلوا أصغر، وغطوا وجوههم بشيابهم لئلا يروا نوحاً، واستمروا على الكفر، وأقاموا على الضلالة، واستكبروا عن قبول الحق استكباراً شديداً، فهم عطلوا الأسماع والأبصار والقلوب عما خلقت له.

﴿ ٨ ﴾ **ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا** ﴿

ثم إنني رفعت صوتي لهم بالدعوة، وأعلنت رسالتي في مجامعهم ومجالسهم، فلم يأتِ النقص من قبلي في التبليغ، وإنما من جهتهم في الإعراض.

﴿ ٩ ﴾ **ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا** ﴿

ثم إنني أخفيت صوتي بدعوتي، فمرة أرفع الصوت إذا كثرت الجمع، وبعدها المخاطب، ومرة أخفضه إذا قربت منهم، أو كان المدعو واحدًا، والمعنى ما تركت طريقةً تصلح للدعوة إلا سلكتها.

﴿ ١٠ ﴾ **فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا** ﴿

وأمرتهم باستغفار الواحد القهار، فإنه غفار الذنوب، ستار العيوب، يقبل من تاب، ويرحم من أناب. والاستغفار هنا يتضمن التوحيد والتوبة.

﴿ ١١ ﴾ **يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا** ﴿

ومع الاستغفار ينزل الله الأمطار؛ لأن الغيث من آثار رحمته - سبحانه - التي تنتزل على المستغفرين؛ لأن الذنوب تمنع القطر.

﴿ ١٢ ﴾ **وَيُمِدُّكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبْنِي وَجَعَلَ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا** ﴿

ومع الاستغفار والتوبة يرزقكم الله الذرية الصالحة، والأموال الكثيرة والرزق الواسع، وينبت لكم الحدائق الغناء، والبساتين الفيحاء، لتتعنوا بفوائد الأشجار والثمار والأزهار، ويهيئ لكم العذب الغزير من الأنهار.

﴿ ١٣ ﴾ **مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا** ﴿

ما لكم - أيها الفجار - ليس عندكم وقار للواحد القهار، فلا تخافون عذابه ولا ترجون ثوابه.

﴿ ١٤ ﴾ **وَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ أَطْوَارًا** ﴿

وقد خلقكم على مراحل، نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم عظامًا ولحمًا، فهو الذي تولى وحده الخلق والتصوير والرزق، فحقه أن يُعبد.

﴿ ١٥ ﴾ **أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا** ﴿

ألم تنظروا في السماء وخلقها البديع؟ كيف جعلها الله سبعاً شداداً بعضها فوق بعض في إحكام وإتقان، تدل على تمام القدرة، وكمال القوة.

﴿ ١٦ ﴾ **وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا** ﴿

والله جعل القمر في هذه السموات نوراً لأهل الأرض، يستضيئون بنوره في الظلام، وهو برهان على روعة هذا البناء والنظام وجعل الشمس كالسراج الوهاج تسطع على العالم بنورها وتكشف الظلام بضيائها.

﴿ ١٧ ﴾ **وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا** ﴿

والله أنشأ أصلكم، وخلق أباكم آدم من التراب ونفخ فيه الروح، فمادتكم من الطين، وأصلكم من الثرى.

﴿ ١٨ ﴾ **ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا** ﴿

ثم يعيدكم بعد الموت مدفونين في الأرض، ثم يبعثكم من القبور إلى يوم النشور للحساب، فإما ثواب أو عقاب فمن الأرض الأصل وإليها العود ومنها البعث.

﴿ ١٩ ﴾ **وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا** ﴿

والله مهّد لكم الأرض للعيش عليها وفرشها لمزاولة الحياة على ظهرها، وبسطها للناس.

﴿ ٢٠ ﴾ **لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا** ﴿

لتسلكوا في الأرض طرقاً واسعة للذهاب والإياب في منافعكم، وكسب رزقكم وحلّكم وترحالكم.

﴿ ٢١ ﴾ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنِّي مَعْصُوفِي وَعَصَوْتِي وَأَتَّبَعُوا مِنْ لَدُنِّي مَا لَهُمْ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا خَسَارًا ﴿ ٢١ ﴾

قال نوح: يا رب، إن قومي خالفوا أمري وبالغوا في تكديبي، وأكثروا من عصياني واتبع الفقراء منهم الأغنياء في الضلال، واقتدى الضعفاء بالرؤساء في التكذيب، فلا صاحب المال والولد نفعه ماله لما كذب، ولا نجاه ولده من العذاب.

﴿ ٢٢ ﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا كَبِيرًا ﴿ ٢٢ ﴾

ومكر الكبراء بالضعفاء مكرًا عظيمًا، وخدعوهم بجاههم ومالهم عن الهداية، ولبسوا عليهم بفتنة المال حتى صدوهم عن الحق.

﴿ ٢٣ ﴾ وَقَالُوا لَا تَنْزَلَ إِلَهُكُمُ الْمَاءُ وَلَا تَنْزِيلٌ وَدَا وَلَا سَوَاءٌ وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿ ٢٣ ﴾

وقال الرؤساء للضعفاء: لا تتركوا عبادة أصنامكم إلى عبادة الله وحده التي دعا إليها نوح، ولا تتركوا عبادة الأصنام ود ولا سواع ولا يغوث ولا يعوق ونسراً التي هي أسماء قوم صالحين سموها بأسمائهم، ثم عبدوها من دون الله.

﴿ ٢٤ ﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿ ٢٤ ﴾

وقد أضل الرؤساء الضعفاء وزينوا لهم الباطل وأغروهم بالغواية، فيا ربنا لا تزد هؤلاء الظالمين لأنفسهم بالفساد إلا بعداً عن الحق والرشاد؛ لأنهم أضلوا العباد.

﴿ ٢٥ ﴾ مِمَّا خَطَبْتَهُمْ أُعْرِفُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا ﴿ ٢٥ ﴾

فبسبب ذنوبهم أُعْرِفُوا بالطوفان، ثم أُحْرِقُوا بالنيران؛ لإمعانهم في العصيان والطغيان فلم ينصرهم أحدٌ من دون الرحمن.

﴿ ٢٦ ﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿ ٢٦ ﴾

فلما يئس نوح من قومه دعا عليهم فقال: يا رب، أهلك الكفار ولا تترك منهم أحداً حياً يدور على وجه الأرض ويتحرك على البسيطة؛ ليقطع منهم الأثر، وينتهي عقبهم من الدنيا.

﴿ ٢٧ ﴾ إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوكَ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَجْرًا كَفَّارًا ﴿ ٢٧ ﴾

إنك يا ربنا إن تركت الكفار دون إهلاك صدوا عبادك عن الحق، وأضلوهم عن الرشاد، وفتنوهم في دينهم، ولا يلد الآباء من الأصلاب إلا كل كافر كذاب، ولا تتجب النساء من الأرحام إلا كل مرتكب للآثام.

﴿ ٢٨ ﴾ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا نَبَارًا ﴿ ٢٨ ﴾

يا رب اغفر لي ذنوبي، واغفر لوالدي، واغفر لمن اعتق ديني، ودخل بيتي وهو مؤمن، واغفر لكل مؤمن ومؤمنة مدى الدهر، وقد شملت دعوته عليه السلام، فجزاه الله خيراً، ثم قال: ويا ربنا لا تزد الكافرين إلا هلاكاً في الدنيا، وعذاباً في الآخرة، قال هذا بعد تجربة طويلة، وعمر مديد، فيه تعبٌ من عتاة الكفار.

آياتها ٢٨	سورة الجن	ترتيبها ٧٢
--------------	-----------	---------------

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ ١ ﴾ قُلْ أَوْحَى إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿ ١ ﴾

قل - أيها النبي - : إن الله أوحى إلي أن جماعة من الجن قد استمعوا وأنصتوا للقرآن، فلما سمعوه تأثروا به وقالوا لقومهم: إنا سمعنا قرآناً مبدياً في بلاغته وفصاحته، عجيباً في نسقه وسياقه، جميلاً في عرضه وإشراقه، يأخذ بالألباب، وينفذ إلى النفوس، ويخترق حجب الضمير.

﴿ ٢ ﴾ **بِهَدْيٍ إِلَى الرَّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا**

وهذا القرآن يدل على الحق، ويدعو إلى البر، فصدقنا به واتبعناه، ووحدنا ربنا ولن نشرك به أحداً في ألوهيته.

﴿ ٣ ﴾ **وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا**

وأن الله تقدس وتنزه وتعالى عظمته ما اتخذ زوجةً ولا ولداً، بل هو أحد صمد، لم يلد ولم يولد.

﴿ ٤ ﴾ **وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا**

وأن الجاهل بالله منا كان يفترى على الحق وينسب إليه الصاحبة والولد؛ سفهاً وظلماً تعالى الله عن ذلك.

﴿ ٥ ﴾ **وَأَنَا ظَنَنَّا أَن لَنْ نَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا**

وأنا كنا نعتقد أن أحداً من الجن والإنس لا يستطيع أن يفترى على الله من نسبة الولد والصاحبة.

﴿ ٦ ﴾ **وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالِ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا**

وقد كان رجال من الإنس يستجيرون برجال من الجن، فزاد هؤلاء الرجال باستجارتهم الجن طغياناً وسفهاً وعتواً، وهذا شرك، ومثله إتيان السحرة والكهان.

﴿ ٧ ﴾ **وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا**

وقد اعتقد كفار الإنس كما اعتقدتم - أيها الجن - أن الله - تعالى - لن يبعث أحداً بعد الموت، فهم كفروا بالله واليوم الآخر.

﴿ ٨ ﴾ **وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَا مُلْمَأَتٍ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا**

وأنا صعدنا إلى السماء لاستماع حديث أهلها، فوجدناها تغيرت علينا بعد البعثة المحمدية، فقد امتلأت بالملائكة الحراس، والنجوم المحرقة التي يرمد بها من يستمع منا.

﴿ ٩ ﴾ **وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدِ اللَّسْمَعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شَهَابًا رَصَدًا**

وقد كنا قبل البعثة نتخذ من السماء مقاعد لسماع الحديث، أما الآن فمن يقترب للسماع يحرقه الشهاب، وفيه إبطال دعوى الكهان والعرافين من نسبة كلامهم إلى خبر من السماء.

﴿ ١٠ ﴾ **وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشْرُّ أَرِيدُ يَمُنُ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا**

ونحن لا ندري هل يراد بأهل الأرض بهذا التغيير هلاك ودمار؟ أم يريد الله بهم خيراً وهدى، فما ندري ماذا حدث؟

﴿ ١١ ﴾ **وَأَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِمَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَا**

ومنا معشر الجن أولياء وأتقياء، وممَّا فسقة أشقياء، فنحن مذاهب شتى، لسنا على صفة واحدة.

﴿ ١٢ ﴾ **وَأَنَا ظَنَنَّا أَن لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا**

وأنا نعتقد أن الله محيط بنا، ونحن تحت سلطانه، فلن نفوته إذا شاء أن يهلكنا في الأرض، ولن نقدر على الهرب في السماء من بطشه.

﴿ ١٣ ﴾ **وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدْيَ آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَحْسَ وَلَا رَهَقًا**

وأنا لما أنصتنا للقرآن صدقنا به أنه من عند الله، فمن يؤمن بألوهية ربه، فلا يخشى نقصاً من حسناته، ولا زيادة في سيئاته، فالله لا يظلم أحداً.

﴿ ١٤ ﴾ **وَأَنَا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِمَّا الْفَلْسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا**

وأنا ممَّا المنقادون لطاعة الله، الخاضعون له، وممَّا الجائرون الذين حادوا عن الصراط المستقيم، فمن أطاع الله واتبع رضوانه، فهؤلاء سلكوا طريق الحق، وهم الذين اهتدوا بهدى الله، وآمنوا به واتبعوا رسله، فهم الأبرار؛ لأنهم اجتهدوا في حسن الاختيار.

﴿ ١٥ ﴾ **وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا**

وأما الجائرّون عن الطريق المستقيم، فهم من أصحاب الجحيم، يصلون حرّها ويعانون عذابها، فالعدل أن من كذّب في النار يُعذب.

﴿ ١٦ ﴾ **وَأَلَوْ اسْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا**

ولو أن كفار الإنس والجن استقاموا على طاعة الله، وأخلصوا له العبادة، وأحسنوا الاتباع لرسوله ولم يحددوا عن سبيله؛ لأنزل الله عليهم من السماء غيثاً مدراراً، ولرزقهم رزقاً هنيئاً، فعاشوا في عيش رغيد، وعمر سعيد.

﴿ ١٧ ﴾ **لِنُفِنَنَّهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا**

لنختبرهم ولنعلم من يشكر ومن يكفر، فمن صدّ عن طاعة الله وغفل عن عبادته ونسي ذكره أدخله الله العذاب الشديد، وأهانته في الآخرة بإدخاله نار جهنم.

﴿ ١٨ ﴾ **وَأَنْ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا**

وأن المساجد يُعبد فيها الله وحده، فلا تجوز عبادة غير الله، ولا صرف شيء من العبادة لغيره، فأخلصوا له الطاعة من عبادة ومسألة وخوف ورجاء، فإن المستحق لها هو الله وحده.

﴿ ١٩ ﴾ **وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا**

وأن رسول الله ﷺ لما قام ليلة الجن يصلي لربه اجتمع الجن حوله صفوفاً مترابطة حتى أوشكوا أن يلتصقوا بالرسول ﷺ من شدة حرصهم على السماع.

﴿ ٢٠ ﴾ **قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا**

قل لهؤلاء الكفار: إنني أعبد الواحد القهار، ولا أشرك في عبادته أحداً، بل أوحّد له الطاعة أبداً، فهو أحق أن يُعبد، وهو أهل أن يُوحّد.

﴿ ٢١ ﴾ **قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا**

قل للكفار: أنا لا أستطيع أن أجلب لكم نفعاً ولا أدفع عنكم ضرراً، ولا أضلكم ولا أهديكم، فكل ذلك لله وحده، إنما أنا نذير بعذاب، وبشير بثواب.

﴿ ٢٢ ﴾ **قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا**

قل: لن يمني من عذاب الله أحدٌ إن عصيته، ولا أجد ملجأً أفرُّ إليه من العذاب غير الله، فلا ملجأ ولا منجى من الله إلا إليه، فليضر العبدُ إليه، وليعتمد عليه.

﴿ ٢٣ ﴾ **إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا**

ولكن الذي أقدر عليه وأستطيعه هو الدعوة إلى الله، وتبليغ دينه، وإيصال رسالته التي أتمني على تبليغها، ومن عصى الله وخالف الرسول، فمأواه جهنم في العذاب المؤبد جزاءً على جرّمه.

﴿ ٢٤ ﴾ **حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضَعُفٌ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا**

حتى إذا أبصر الكفار النار التي وُعدوا بها في هذه الدار، حينها يعلمون من هو الضعيف الذي لا ناصر له، والقليل الذي لا جند معه، فهم الأضعف والأذل والأقل، والله الأقوى والأعز والأكثر.

﴿ ٢٥ ﴾ **قُلْ إِنْ أَدْرَيْتُمْ أَقْرَبُ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا**

قل - أيها النبي - للكفار: ما عندي علم بوقت العذاب الذي وُعدتم به، أقرب نزوله بكم أم بعيد وقوعه، فأنا منذرٌ بوقوعه ولستُ مخبراً بوقته.

﴿ ٢٦ ﴾ عِلْمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿

وهو - سبحانه - الواحد القهار عالم ما غاب عن الأبصار، فلا يُطَّلَعُ على الغيب أحداً من البشر، وعلم ما ظهر وما استتر، وما أعلن وما أسر.

﴿ ٢٧ ﴾ إِلَّا مَنْ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿

إلا من اصطفى من خلقه لرسالته فإنه يطلعه على بعض علم الغيب، ويحفظ ما أمام الرسول ﷺ وما خلفه من الجن بملائكة؛ لئلا يسترق الجن شيئاً من الوحي فيوحونه إلى أوليائهم من الكهنة والعرافين.

﴿ ٢٨ ﴾ لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿

ليعلم النبي أن الأنبياء قبله قد أوحى إليهم مثلما أوحى إليه، وبلغوا الرسالة بصدق وأمانة، وأن الله حفظه مثلما حفظهم من الجن، وأن الله علم تماماً، سراً وجهراً، ما عندهم من الشرائع والأحكام وغيرها، وأنه - سبحانه - أحصى كل شيء بعدده، لا يعزبُ عنه شيء، فهو عالم كل معلوم، وأحصى كل معدود، علم الكيفية، وأحصى الكمية.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ ١ ﴾ يَا أَيُّهَا الْمَزْمِلُ ﴿

يا أيها المتغطي بشيابه، وهو النبي ﷺ لما جاءه جبريل بغار حراء، فرجع إلى أهله خائفاً يقول: زمّلوني زمّلوني.

﴿ ٢ ﴾ قُرْ أَيْلَ الْأَقْيَلِ ﴿

قم للصلاة في الليل إلا يسيراً منه؛ لأن صلاة الليل عون على أعباء الدعوة ومتاعب الحياة، وهي من أعظم القربات إلى الله.

﴿ ٣ ﴾ نَضَمَهُ أَوْ انْقَضَ مِنْهُ قَلِيلاً ﴿

قم - أيها النبي - نصف الليل أو انقص من النصف قليلاً حتى تصل إلى الثلث؛ ليبقى وقت للنوم والراحة، فقيام الليل كله متعب وهو خلاف الأولى.

﴿ ٤ ﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ﴿

أو زد - أيها النبي - على نصف الليل حتى تصل إلى الثلثين، وتمهل في قراءة القرآن تمهلاً يوصلك إلى تدبر القرآن وتفهمه.

﴿ ٥ ﴾ إِنَّا سَأَلْنَاكَ قَوْلًا نَفِيلاً ﴿

إنا سنوحى إليك - أيها النبي - قرآناً عظيماً حاوياً وأوامر ونواهي وأحكاماً جليلاً، وآداباً شريفة.

﴿ ٦ ﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْكَ وَأَطْوَلُ قِيلاً ﴿

إن الصلاة التي تنشأ بعد نوم من الليل هي أقوى تأثيراً في القلب، وأكثر موافقةً بين السمع والقلب لفرغ القلب من هموم الحياة.

﴿ ٧ ﴾ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلاً ﴿

إن لك في النهار فراغاً طويلاً لطلب المعاش والقيام بالدعوة والإصلاح، فاجعل الليل خالصاً لربك مخصوصاً لنفسك في العبادة.

﴿ ٨ ﴾ **وَأَذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا**

وأكثر من ذكر ربك بالأذكار والأدعية الشرعية، وانقطع إليه انقطاعاً تاماً في العبادة بإخلاص العمل وصدق التوجه، وعظيم المراقبة.

﴿ ٩ ﴾ **رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا**

هو خالق المشرق والمغرب ومالكهما، لا معبود بحق سواه، ولا يستحق العبادة إلا هو، ففوض الأمر إليه، واعتمد عليه.

﴿ ١٠ ﴾ **وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَأَهْرُجْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا**

واصبر - أيها النبي - على ما يقوله الكفار من الأقوال الآثمة الكاذبة فيك وفي دعوتك، وأعرض عنهم، ولا تنتقم منهم، ولا تشتك لغير الله.

﴿ ١١ ﴾ **وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِيَ النَّعْمَةِ وَمَهَلْهُمُ قَلِيلًا**

ودعني - أيها النبي - ومن كذب برسالتك من أهل الترف والبخس وانتظر قليلاً من العمر عذاباً يحل بهم، فكل ما هو آت قريب، وسوف يقع بهم عذاب الله.

﴿ ١٢ ﴾ **إِن لَّدِينَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا**

إن عندنا للكفار في النار قيوداً ثقيلة، وأغلالاً شديدة، وناراً محرقة؛ جزاءً على فعلهم الشنيع.

﴿ ١٣ ﴾ **وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا**

وعندنا لهؤلاء الفجار طعاماً منغصاً يعلق في الحلق، ويصعب ابتلاعه، ولا يُستساغ، ومعه عذابٌ موجع لا يُطاق ولا يُستطاع.

﴿ ١٤ ﴾ **يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا**

يوم تهتز الأرض والجبال اهتزازاً عنيفاً، وتزلزل زلزلاً قوياً، وتصير الجبال من الهول تراباً متناثراً، وهباءً منتثرًا بعد صلابتها، هذا كله يوم تقوم الساعة.

﴿ ١٥ ﴾ **إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا**

إنا أرسلنا إليكم محمداً ﷺ يشهد على أعمالكم من كفر وإيمان، وطاعة وعصيان، مثلما أرسلنا موسى إلى فرعون يدعوه ويشهد عليه.

﴿ ١٦ ﴾ **فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا**

فكذب فرعون موسى ولم يؤمن به، فأهلكنا فرعون وقومه ودمرناهم تدميراً بإغراقهم في اليم، وفيه تهديد لكفار مكة.

﴿ ١٧ ﴾ **فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا**

فكيف تقون أنفسكم - إذا كفرتم - بالله عذاب الله يوم القيامة، الذي من هوله يصبح الأطفال الصغار شيباً، فهذا الرضيع يشيب بلا ذنب، فماذا يفعل الفاجر يوم الكرب؟!؟

﴿ ١٨ ﴾ **السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ ۚ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا**

السماء يوم القيامة متشققة من هوله، كان وعد الله به كائناً لا بد منه، حاصلًا لا راد له.

﴿ ١٩ ﴾ **إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا**

إن هذه العظات من التخويف والترهيب عبرة للبشر، فمن أراد اعتبار وازدجر، واتخذ الطاعة طريقاً، والعمل الصالح وسيلةً للنجاة من غضب الله والفوز برضوانه.

﴿ ٢٠ ﴾ **إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ، وَثُلُثَهُ، وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ ۗ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۗ عَلِمَ أَن لَّنْ نُحِصَّهُ فَنَابَ عَلَيْكَ**

فأقرءوا ما ينسر من القرآن علم أن سيكون منكم مرءىً وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقبلون في سبيل

الله فأقرءوا ما ينسر منه وأقيموا الصلوة وآتوا الزكاة وأقرضوا الله قرضاً حسناً وما نقيموا لأنفسكم من خير يجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً

وأسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿ ٢١ ﴾

إن ربك - أيها النبي - مطلع على تهجدك بالليل أقل من ثلثيه، وتقوم نصفه حيناً، وتقوم ثلثه حيناً آخر، ويقوم معك نفرٌ من أصحابك، والله وحده يعلم حساب ساعات الليل والنهار ما مضى وما بقي، وعلم الله أنكم لا تستطيعون قيام كل الليل فيسرٌ عليكم بقيام ما تيسر، فاقروا وصلوا على قدر طاقتكم، وعلم الله أنه سوف يقعد بعضكم المرض عن قيام الليل، وعلم بوجود جماعة منكم مسافرين في الأرض للتجارة، ويشق عليهم قيام الليل، وجماعة مجاهدين لإعلاء كلمة الله يرهقهم الجهاد عن التهجد، فعليكم بما تطيقون من صلاة وتلاوة؛ فالدين يسر، وداوموا على الصلاة المكتوبة، وأدوا الزكاة المفروضة، وأنفقوا في وجوه الخير، وكل شيء تفعلون من البر لوجه الله تجدونه في صحائف الأعمال يوم القيامة، وهو خيرٌ مما أنفقتم في شهوات الدنيا، وأعظم ثواباً وأجل نفعاً، فاسألوا الله مغفرته، واطلبوه رحمته، فإنه يغفر الذنوب، ويرحم من يتوب ويتجاوز عن الخطايا لمن عاد إليه صادقاً.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَأْتِيهَا الْمَدِيثُ﴾

يا أيها المتغطي بثيابه، وهو النبي الكريم ﷺ بعدما عاد من غار حراء خائفاً فذرته بالملايس.

﴿فُرْأَنذِرُ﴾

قم من مرقدك وحثر قومك عذاب ربك وادعهم إلى التوحيد، وخوِّفهم العذاب الشديد إن هم خالفوك وعصوا أمرك.

﴿وَرَبِّكَ كَبِيرُ﴾

وعظم ربك وحده بتوحيده وتنزيهه عن الأضداد والأنداد، وداوم على ذكره، ووصفه بما وصف به نفسه والذل له.

﴿وَتِبَابِكَ فَطَهِّرُ﴾

وطهر ثيابك من النجاسات، ودينك من المعاصي والمخالفات، وتوحيدك من الشركيات؛ لتكون نقياً من كل ذنبٍ وعيب.

﴿وَالرَّجْرَ فَاهْجُرُ﴾

واهجر الشرك كله من عبادة الأصنام والأوثان وكل ما عبُد من دون الرحمن، وأخلص توحيدك للواحد الديان.

﴿وَلَا تَمَنَّ نَسْتَكْبِرُ﴾

لا تهب الهبة لتعطى أكثر منها، ولا تمنَّ بالعطية فتؤذي صاحبها وتظهر كثرة عطائك وكرمك على الناس.

﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرُ﴾

واصبر لوجه الله على أداء الطاعة واجتناب المعصية، وتحمل المصيبة طالباً الثواب من الله وحده.

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي النُّافِرِ﴾

فإذا نُفِخَ في القرن نفخة البعث والنشور حينها يشتد الخطب، ويعظم الكرب؛ لأن الأمر صعب.

﴿فَذَلِكَ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾

فذلك اليوم يوم عسر، وموقف خطر؛ لكثرة أهواله، وشدة فزعه، وعظيم ما يحصل فيه من أمور.

﴿ ١٠ ﴾ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرِيسِيرٍ ﴿ ١٠ ﴾

فهو يوم شديد على الكفار لما يشاهدونه من أخطار، حينها يناقشون الحساب، ويذوقون العذاب، وينزل بهم العقاب.

﴿ ١١ ﴾ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿ ١١ ﴾

دعني أنا ومن أوجدته من بطن أمه وحيداً فريداً فقيراً، لا مال ولا ولد، والمراد به الوليد ابن المغيرة المكذب بالرسالة.

﴿ ١٢ ﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ﴿ ١٢ ﴾

ووهبته مالاً كثيراً وفيراً واسعاً بعدما خرج إلى الحياة مملقاً معدماً، فأغنيته بما أعطيته.

﴿ ١٣ ﴾ وَبَيْنَ شُهُودًا ﴿ ١٣ ﴾

ورزقته أولاداً حضوراً معه في مكة، لا يغيبون عن خدمته، قد أعطيتهم ما أغناهم عن السفر للمعاش.

﴿ ١٤ ﴾ وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿ ١٤ ﴾

وسهلتُ له طرائق الرزق تسهيلاً، ويسرتُ له أسباب المعاش حتى كثر ماله وعظم جاهه.

﴿ ١٥ ﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿ ١٥ ﴾

ثم يأمل بعد هذا العطاء زيادة الغنى من المال والنعم، والخدم والحشم، فهو كثير الطمع والجشع، لا يشبع.

﴿ ١٦ ﴾ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عِينِدًا ﴿ ١٦ ﴾

ليس الأمر كما يظن هذا الكافر الأثيم لا أزيده على ما أعطيت؛ لأنه عاند الحق، وجحد الصدق، وحارب الرسالة.

﴿ ١٧ ﴾ سَأَرْهِفُهُ، صَعُودًا ﴿ ١٧ ﴾

سأكلفه المشاق من النكال والإرهاق، وأبتليه بأشد المصاعب من كربات وأزمات لا راحة له منها.

﴿ ١٨ ﴾ إِنَّهُ، فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿ ١٨ ﴾

إنه فكَّر في نفسه وهياً كلاماً يطعن به في القرآن، فهو معدٌّ للسوء، متعمدٌ له، مترصدٌ للإثم.

﴿ ١٩ ﴾ فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿ ١٩ ﴾

فاعن وهلك وغلب وقهر كيف هياً في نفسه هذا الطعن؟ وكيف أضمر هذا السوء وما حمّله على ذلك؟

﴿ ٢٠ ﴾ ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿ ٢٠ ﴾

ثم لعن وهلك كيف هياً هذه الإساءة، وحبك هذا الطعن، وما الذي جرَّاه على هذا الطعن؟

﴿ ٢١ ﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿ ٢١ ﴾

ثم نظر فيما قدر، وفكَّر فيما أضمر، فهو أجال رأيه ليجث عن مطعن، وأعمل فكره ليلتمس عيباً.

﴿ ٢٢ ﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿ ٢٢ ﴾

ثم قطَّب وجهه وكلح به لما عجز أن يجد مغمزاً، فقبج وجهه وساء لما ضاقت به الحيلة في العثور على عيب.

﴿ ٢٣ ﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿ ٢٣ ﴾

ثم أعرض عن الصواب، واستكبر عن الحق، فهو مُدْبِرٌ عن الهدى، متعاضمٌ أن يعترف به، رفضه لما أتاه، وكرهه وأباه.

﴿ ٢٤ ﴾ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ﴿ ٢٤ ﴾

وقال عن القرآن: هذا سحر يتعلم من الأوائل وينقل عن سبق، فهو مأخوذ بالتلقي، متعلِّمٌ بالتلقين.

﴿ ٢٥ ﴾ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿ ٢٥ ﴾

ما هذا القرآن إلا كلام الناس أخذه الرسول ﷺ من أفواه الرجال، وليس وحياً؛ كذباً منه وزوراً.

﴿ ٢٦ ﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿ ٢٦ ﴾

سأدخله النار تحرقه بلهبها وتصليه بحرّها يتقلب على وقودها، ويُشوى في جحيمها.

﴿ ٢٧ ﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ ﴿

وما أعلمك أي شيء هذه النار؟! إنها فوق الوصف عذاباً وأماً، وإنها فوق الخيال نكالاً وضنكا.

﴿ ٢٨ ﴾ لَا تَبْقَى لِحِمًّا وَلَا تَبْقَى عِظْمًا، لَا تَبْقَى بَشْرًا وَلَا تَتْرِكُ أَثْرًا، تَحْرَقُ الْأَجْسَامَ، وَتَذِيبُ الْأَجْرَامَ.

لا تبقى لحمًا ولا تترك عظمًا، لا تبقى بشرًا ولا تترك أثرًا، تحرق الأجسام، وتذيب الأجرام.

﴿ ٢٩ ﴾ لَوَاحِئَ اللَّبَشِ ﴿

تغير البشرة، وتسود الجلود، تحرق الجسم وتشوي اللحم، يصبح فيها الإنسان فحمًا والبشر حممًا.

﴿ ٣٠ ﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿

يتولى أمرها ويشرف على شأنها تسعة عشر ملكًا من الزبانية الأشداء، والجبابرة الأقوياء.

﴿ ٣١ ﴾ وَمَا جَعَلْنَا أَحْسَبَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزِدَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ

أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا

هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ ﴿

وما جعلنا خزنة النار إلا كل ملك غليظ جبار، وما جعلنا ذلك العدد إلا امتحانًا لمن كذب وجحد، ليقع اليقين لليهود والنصارى أن ما جاء به القرآن موافق لما نزل عليهم في كتبهم من الرحمن، فيعظم لديهم الإيمان، ويزداد المؤمنون بذلك تصديقًا ورسوخًا في اليقين وتحقيقًا، ولا يشك في صحة ذلك الذين نزل عليهم الكتاب من اليهود والنصارى ولا من آمن بالله ورسوله، وليتحدث أهل الكفر والنفاق والريبة والشقاق عن سر العدد المتعجب منه، وماذا أراد الله باختيار هذا الرقم؟ وبمثل هذا الذي نزل يضل الله من أراد ضلاله، ويهدي من أراد هدايته، فالقرآن هداية لأهل الإيمان، وخسار لأهل الكفر والطغيان، وما يعلم ذلك العدد من الملائكة إلا الواحد الأحد، وما النار إلا تذكرة لأولي الأبصار، وعبرة لأهل الاعتبار، وموعظة لمن خاف الواحد القهار.

﴿ ٣٢ ﴾ كَلَّا وَالْقَمَرَ ﴿

ليس الأمر كما ذكروا من التكذيب، وأقسم قسمًا بالقمر وهو آية باهرة على حسن الصنع، وبديع الإتيان.

﴿ ٣٣ ﴾ وَأَنْبِلُ إِذَا دَبَّرَ ﴿

وأقسم قسمًا بالليل إذا ذهب بظلامه، وولّى بسواده بعد أن غطى العالم بجلبابه، وستر الدنيا بثيابه.

﴿ ٣٤ ﴾ وَالصُّبْحَ إِذَا أَسْفَرَ ﴿

وأقسم قسمًا بالفجر إذا أضاء، وانبلج بالسناء، وأقبل بطلعته البهيبة، وإشراقه الزاهي، ووجهه الأغر.

﴿ ٣٥ ﴾ إِنَّهَا لِأَحَدَى الْكُبْرَى ﴿

إن النار لإحدى الدواهي الكبار، فهي من عظام الأمور، ذكرها يقصم الظهور، وتضيق من هولها الصدور.

﴿ ٣٦ ﴾ نَذِيرًا لِلْبَشَرِ ﴿

وهي تخويف للعباد؛ ليتهيؤوا ليوم المعاد، ففي ذكر النار من الإنذار ما يخلع قلب كل مستكبر جبار.

﴿ ٣٧ ﴾ لِمَن شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿

لمن أراد أن يتقرب بفعل الطاعات، أو يتأخر بعمل المحرمات، فالمصدق يتقدم بصلاحه، والمكذب يتأخر بفساده.

﴿ ٣٨ ﴾ كُلُّ نَفْسٍ مَّحْبُوسَةٌ بِمَا كَسَبَتْ رَهينَةً ﴿

كل نفس محبوسة بما عملت، مرهونة بما اكتسبت، لا تطلق حتى تؤدي الحقوق، ولا تفك حتى تتخلص من الواجبات والتبعات.

﴿ ٣٩ ﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿

إلا الصادقين من المؤمنين، فكوا الرقاب باتباع السنة والكتاب، وأعتقوها بفعل ما صلح من الأسباب.

﴿ ٤٠ ﴾ **﴿ فِي جَنَّاتٍ يَسَاءُونَ ﴾**

نزلوا جنّات النعيم، في خير حالٍ وأحسن مآل، وراحة بال، يسأل بعضهم بعضاً زيادةً في الإيناس والبهجة.

﴿ ٤١ ﴾ **﴿ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴾**

يسأل المؤمنون في الجنة أصحاب النار من الكفار، وهذا زيادةً في غبطة أصحاب الجنة ممن رأى المعذب وهو سالم اغتبط، وبضدها تتميز الأشياء.

﴿ ٤٢ ﴾ **﴿ مَا سَأَلَكُمْ فِي سَفَرٍ ﴾**

ما العمل الذي أدخلتم بسببه النار؟! وهذا زيادةً في إيلام الفجار، فإن المُعذَّب إذا سُئِلَ عن سبب عذابه زاد ألمه.

﴿ ٤٣ ﴾ **﴿ قَالُوا لَوْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴾**

قال المجرمون للمؤمنين: دخلنا النار لأننا لم نكن نصلّي في الدنيا.

﴿ ٤٤ ﴾ **﴿ وَلَوْ نَكُ نَطْعُمُ الْمَسْكِينِ ﴾**

وما كنّا نتصدق على الفقراء، ولا نعطي المساكين، فهم مع ترك الصلاة منعوا الزكاة التي أمر الرسول ﷺ بقتال الناس حتى يقوموا بهما.

﴿ ٤٥ ﴾ **﴿ وَكُنَّا نَحُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴾**

وكنّا في الدنيا نتحدث بالآثام في كل كلام حرام، من باطل وزور وكذب وفجور وغواية وضلالة.

﴿ ٤٦ ﴾ **﴿ وَكُنَّا نَكْذِبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴾**

وكنا ننكر يوم القيامة يوم الجزاء والحساب، ونرى أنه لا يقع، وأن كل خبر بحصوله كذب.

﴿ ٤٧ ﴾ **﴿ حَتَّىٰ أَتْنَا الْيَقِينَ ﴾**

حتى جاء الموت بالسكرات، ونحن في تلك الضلالات، جاحدين بالبعث والنشور، حتى فاجأنا قاصم الظهور.

﴿ ٤٨ ﴾ **﴿ فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾**

فما تمنعهم من العذاب شفاعة الأنبياء والملائكة والصالحين؛ لأن الله لم يأذن لأحد أن يشفع لهم، والله لا يرضى عن هؤلاء الفجار.

﴿ ٤٩ ﴾ **﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ ﴾**

فما لهؤلاء الفجار الكفار انصرفوا عن الاتعاظ بالقرآن، وأعرضوا عن تدبر الفرقان.

﴿ ٥٠ ﴾ **﴿ كَانَهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنْفِرَةٌ ﴾**

كانهم في فرارهم من سماع القرآن حمر وحشية؛ لجامع البلادة والبهيمية، وطيش الأحلام، وسفه العقول، ووجود الجموح والإعراض.

﴿ ٥١ ﴾ **﴿ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴾**

هربت من أسدٍ كاسر، وفرّت من ليث غادر، فأخذت تفرُّ أمامه في غاية السرعة، فهؤلاء لما سمعوا بالرسالة نفروا من قبولها.

﴿ ٥٢ ﴾ **﴿ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَنْ يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنشَرَةً ﴾**

بل يطمع كل واحدٍ من المشركين أن ينزل عليه قرآن من السماء منشوراً مثلما نزل على الرسول ﷺ، وأنّى لهم ذلك، فالرسالة اصطفاء، والوحي اجتناب، وليس بالتشهي.

﴿ ٥٣ ﴾ **﴿ كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الآخِرَةَ ﴾**

ليس الأمر كما ادعوا، ولكن الصحيح أن سبب كفرهم أنهم لا يخافون عذاب الآخرة، ولا يؤمنون بالبعث والنشور، فحملهم هذا على الكفر والفجور.

﴿ ٥٤ ﴾ كَلَّا إِنَّهُ تَذَكَّرَةٌ ﴿ ٥٤ ﴾

حقاً إن القرآن موعظة عظيمة، وحجة بالغة، وذكر لمن كان له قلب يوقظه أجل النصائح، وأشرف الوصايا.

﴿ ٥٥ ﴾ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ﴿ ٥٥ ﴾

فمن أراد الانتفاع به انتفع، ومن أحب أن يتعظ بمواعظه فعل، فلا إكراه في الهدى، فمن شاء اهتدى، ومن شاء تردى.

﴿ ٥٦ ﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴿ ٥٦ ﴾

وما ينتفعون بمواعظ القرآن إلا بمشيئة الرحمن، ولا يهتدون بهداه إلا إذا أراد الله، فالله وحده أهل أن يتقى ويُطاع، وأهل أن يغفر لمن أطاع، فحقه أن يُوحَّد، وأن يُعبد، وحق الموحد عليه ألا يعذبه بل ينعم ويسعد.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ ١ ﴾ لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ ﴿ ١ ﴾

أقسم قسماً بيوم الجزاء والحساب، وزمن الثواب والعقاب، يوم تقوم الساعة ويقع الفصل بين الناس.

﴿ ٢ ﴾ وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴿ ٢ ﴾

وأقسم بالنفس المؤمنة التقية التي تلوم صاحبها على التقصير في الطاعة وفعل المعصية، فيندم ويتحسر لتأنيبها له.

﴿ ٣ ﴾ أَلَيْسَ الْإِنْسَانُ أَنْ يَجْمَعَ عِظَامَهُ ﴿ ٣ ﴾

أيظن الكافر إذا تفتت عظامه في المقابر، أن الله على جمعها ليس بقادر، استبعاداً منه لليوم الآخر؟

﴿ ٤ ﴾ بَلَى قَدَرِينَ عَلَى أَنْ سُؤِيَ بِنَانِهِ ﴿ ٤ ﴾

بلى سيجمعها الذي خلقها أول مرة، وسيعيدها كما بدأها، والله قادرٌ على أن يجمع بنان الأصابع وهو أصغر الأعضاء الدقيقة، فكيف بالكبار، فإعادتها أيسر، والكل عليه يسير سبحانه.

﴿ ٥ ﴾ بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ﴿ ٥ ﴾

ولكن الإنسان يريد أن يبقى على الجحود فيما يستقبل من أيام عمره، ويستمر على الفجور حتى أمام ما ينتظره من أهوال.

﴿ ٦ ﴾ يَسْأَلُ الْكَافِرُ الْمُنْكَرَ: مَتَى هَذِهِ الْقِيَامَةُ ﴿ ٦ ﴾

يسأل الكافر المنكر: متى هذه القيامة؛ استبعاداً وجحوداً وهي قريبة النزول، وشيكة الوقوع، وهم في غفلة عنها.

﴿ ٧ ﴾ فَإِذَا رَأَوْا الْبَصُرَ ﴿ ٧ ﴾

إذا تحيرَ البصر، ودهش الفكر، وأصاب الإنسان ذهول، وغطى على الرؤية ما حجبها من مشاهد الفرع.

﴿ ٨ ﴾ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ﴿ ٨ ﴾

وذهب نور القمر، وانطمس ضياؤه، واسود سناؤه، فأظلم وجهه إيداناً بقيام الساعة.

﴿ ٩ ﴾ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴿ ٩ ﴾

وألّف بين الشمس والقمر، فطلعا من الغرب مظلمين أصابهما الخسوف، ومحتهما الكسوف ساعة الفرع والخوف.

﴿ ١٠ ﴾ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفْرُ ﴿ ١٠ ﴾

حينها يصيح الإنسان لما شاهد تغير الأكوان، أين المهرب من العذاب؟ أين المفر من يوم الحساب؟

﴿ ١١ ﴾ ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾

ليس هناك مفر - أيها الإنسان - ولا ملجأ ولا منجى مما قدره الرحمن، فالمفر إلى الله، والجمع عنده والحساب لديه .

﴿ ١٢ ﴾ ﴿إِن رَّبِّكَ يُؤَمِّدُ الْمُسْتَفْرِّقَ﴾

إلى الله وحده منتهى الخليفة، ومصير البشر، ومرد الجميع؛ ليحاسب كلاً بما فعل من خير وشر.

﴿ ١٣ ﴾ ﴿يُنشِئُ الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ يَمًّا قَدَمًا وَأَنْخَرًا﴾

حينها يُخبر الإنسان بما عمل في الدنيا من صلاح وفساد، وما قدّمه أمامه من أعمال وما خلفه بعده من أولاد ومال.

﴿ ١٤ ﴾ ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾

بل الإنسان يشهد على نفسه، فجوارحه تتطرق بما فعل، فهو خصيم نفسه، وعلمه حجيجه، وأعضاؤه خصومه.

﴿ ١٥ ﴾ ﴿وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرُهُ﴾

ولو حضر واعتذر بكل ما يقدر عليه من المعاذير فلن تنفعه؛ لأن الحجة قامت عليه، فلن يُقبل عذره.

﴿ ١٦ ﴾ ﴿لَا تَحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَتَّعَلَّ بِهٖ﴾

لا تحرك - أيها النبي - بالقرآن لسانك؛ لتتعجل حفظه، وتبادر النسيان خوفاً أن يضيع منك القرآن.

﴿ ١٧ ﴾ ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ﴾

فإله متكفل لك بجمع القرآن في صدرك، وأن تقرأه بلسانك في ليلك ونهارك بلا نسيان.

﴿ ١٨ ﴾ ﴿فَإِذَا قَرَأَهُ فَأُنشِئْهُ فَأَنْعِقْ قُرْءَانَهُ﴾

فإذا تلا جبريل عليك القرآن فاستمع لتلاوته، وأنصت لقراءته. وفيه أن القرآن يؤخذ بالتلقين من العالم.

﴿ ١٩ ﴾ ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾

ثم إن الله تكفل بتوضيح ما أشكل من القرآن على الرسول ﷺ، وتفهمه ما أبهم، وبيان ما أجمل من المعاني والأحكام.

﴿ ٢٠ ﴾ ﴿كَلَّا بَلْ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾

ليس الأمر كما ادعيتهم؛ لكنكم تحبون الدنيا وزينتها، وتؤثرون شهواتها، وهي عاجلة لسرعة انقضائها وتصرفها وقصر عمرها .

﴿ ٢١ ﴾ ﴿وَنَذُرُونَ الْآخِرَةَ﴾

وتتركون العمل للآخرة، وتغفلون عن الاستعداد لها بالعمل الصالح، متشاغلين باللهو واللعب.

﴿ ٢٢ ﴾ ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ﴾

وجوه المؤمنين يوم القيامة مشرقة مسفرة، حسنة ناعمة، قد سطع عليها النور، وجللها السرور .

﴿ ٢٣ ﴾ ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾

ترى الله - سبحانه - بالأبصار إكراماً منه - سبحانه - لهم على حسن الأعمال، فلا يجدون لذة أعظم، ولا سروراً أتم من رؤيتهم لربهم جل في علاه.

﴿ ٢٤ ﴾ ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾

وجوه الكفار في ذلك اليوم عابسة مسودة كالحة، غشيتها غبرة الذل والصغار، وغطتها فترة الخوف والعار.

﴿ ٢٥ ﴾ ﴿تَنْظُرُونَ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾

تتوقع أن تنزل بها داهية من الدواهي تقصم فقار الظهر؛ لهول ما تشاهد ولسوء أفعالها، فهي تنتظر أشد العذاب وأفظع العقاب.

﴿ ٢٦ ﴾ ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ﴾

حقاً إذا بلغت الروح أعلى الصدر وهي الترقوة، حينها يشتد الكرب، ويعظم الخطب، وهي لحظة السكرات والكريات.

﴿ ٢٧ ﴾ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿﴾

وقال بعضهم ممن حضر الميت وهو في النزع: هل من راقٍ يرقيه، وطبيب يشفيه مما هو فيه؟ والحقيقة أن لا راقياً ينفع، ولا طبيباً يدفع.

﴿ ٢٨ ﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴿﴾

وأيقن المُحْتَضِرُ وهو في سياق الموت بالفراق والفوت، وتأكد من الرحيل لما بارت الحيل في دوائه، وبطلت الوسائل في علاجه.

﴿ ٢٩ ﴾ وَالنَّفْسَ السَّاقِيَّ بِالسَّاقِ ﴿﴾

وتتابعت عليه الشدائد، وتوالت عليه المصائب، واتصلت شدة الدنيا بشدة الآخرة، واصطكت ساقاه عند نزول الموت.

﴿ ٣٠ ﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴿﴾

إلى الله المعاد، وإليه يُسَاق العباد؛ ليقع الحساب، ويكون الفصل، ويتم الجزاء العادل لكل عامل.

﴿ ٣١ ﴾ فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى ﴿﴾

فلا صدق بكتاب الله، ولا صلى لله، فأضمر التكذيب، وأظهر العصيان، فمعتقده باطل، وعمله فاسد، فهو قبيح الباطن والظاهر.

﴿ ٣٢ ﴾ وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿﴾

كذب بالقرآن، وأعرض عن الإيمان، فردّه أقبح رد، وفعله أسوأ فعل، جحد بالرسالة، واختار الضلالة.

﴿ ٣٣ ﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَمْتَطِحٌ ﴿﴾

ثم سار إلى أهله في الدنيا متكبراً متجبراً مغتبطاً بدنياه، تبختر في مشيته، وعظم في نفسه؛ لعدم الخوف من ربه.

﴿ ٣٤ ﴾ أُولَٰئِكَ فَأُولَىٰ ﴿﴾

ويلٌ لك ثم ويلٌ، وهلاك بعده هلاك، وهو تهديد ووعيد بالعذاب الشديد والعقاب الأكيد.

﴿ ٣٥ ﴾ ثُمَّ أُولَٰئِكَ فَأُولَىٰ ﴿﴾

ثم ويل لك بعد ويل، وهلاك يتبعه هلاك، ودمار وعار وشنار، وخلود في النار لكل كافر جبار.

﴿ ٣٦ ﴾ أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿﴾

أيظن الإنسان أنه سوف يُترك هملأ لا يؤمر ولا ينهى ولا يحاسب ولا يُعاقب، بل لابد له من شريعة يعمل بها، ودين يتحاكم إليه.

﴿ ٣٧ ﴾ أَلَرَأَيْكَ نُطْفَةٌ مِّن مَّيِّ يُعْمَىٰ ﴿﴾

أما كان الإنسان في أول النشأة نطفةً ضعيفة من ماء مهين، فلماذا لا يتفكر في هذا الأصل؟ ويتدبر ويشكر ولا يكفر ويدع التكبر.

﴿ ٣٨ ﴾ ثُمَّ كَانَ عِلْقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿﴾

ثم جعله الله علقة من دم جامد مخلقة بقدرته وتمام حكمته، وسوى صورته وأبدع شكله في أحسن تقويم.

﴿ ٣٩ ﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿﴾

فجعل الله من الإنسان صنفين: الذكر والأنثى ليدوم التوالد، ويحصل النماء، وتستمر الخليقة في البقاء.

﴿ ٤٠ ﴾ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴿﴾

أليس الله الذي خلق الإنسان وصوره في أطوار بقادر على إعادته بعد موته، وبعثه بعد فناءه؟ بلى والله، إنه لقادر، ونحن على ذلك من الشاهدين.

﴿ ١٠ ﴾ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَطَطِيرًا ﴿ ١٠ ﴾

إنا نفعّل الخير خوفاً من يوم عظيم، عذابه شديد، تعبس فيه الوجوه، وتتقطّب فيه الجباه؛ لهوله فالمنظر كالحلة والطلعات مسوّدة إلا من رحم الله.

﴿ ١١ ﴾ فَوَقَّهْمُ اللَّهُ شِرْكََ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَفَّهْمُ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿ ١١ ﴾

فحمّاهم الله شدائد ذلك اليوم، وجنبهم أهواله، ونجاهم من كربات، ومنحهم جمالاً وبهاءً في المنظر، وسروراً في المخبر، فالوجوه بهيجة، والقلوب مسرورة.

﴿ ١٢ ﴾ وَجَزَّيْنَهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿ ١٢ ﴾

وأثابهم بسبب صبرهم على الطاعات والمكاره، وصبرهم عن المعاصي، جنّةً راضية، ومقعد صدقٍ آمن، آكلين شاربين منعمين يلبسون الحرير، ويتكئون عليه ويفترشونه.

﴿ ١٣ ﴾ مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرْيَافِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿ ١٣ ﴾

متكئين على الأسرة الوثيرة الناعمة المزينة بأجمل الألوان، وأبهى الصور، لا يجدون في الجنة حر الشمس، ولا برد الزمهرير، بل هو جو معتدل، وهواء لطيف، وظلٌّ وارف.

﴿ ١٤ ﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ أُتُقُوفُهَا نَدِيلًا ﴿ ١٤ ﴾

وقريبة منهم أغصان الأشجار، يستظلون بها تتعطف عليهم الأفنان، وسهلت لهم الثمار في التناول على أي حالٍ أرادوا من اضطرّاج أو قعود أو قيام.

﴿ ١٥ ﴾ وَيُطَوفُ عَلَيْهِمْ بِنَائِيَةٍ مِّنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا ﴿ ١٥ ﴾

ويطوف عليهم الغلمان بأواني الطعام، وأكواب الشراب، فالخادم منعمٌ مهذب قريب، والطعام لذيذ شهّي، والشراب مائع، والآنية فاخرة جميلة من زجاج الفضة.

﴿ ١٦ ﴾ قَوَارِيرًا مِّنْ فِضَّةٍ قَدَرُوهَا نَقِيرًا ﴿ ١٦ ﴾

وهذه الأنية من زجاج الفضة على قدر شرب الشارب قدرها الساقى بحسبان، لا زيادة ولا نقصان، وهذا ألدُّ شيءٍ لدى الإنسان.

﴿ ١٧ ﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ﴿ ١٧ ﴾

ويُسقى هؤلاء البررة كأس خمر، مُزجت بالزنجبيل، يأخذ طعمها بالألباب، سُرت بها النفوس، وفاحت في الأنوف، وضُوعت في المكان.

﴿ ١٨ ﴾ عَيْنَانِهَا سُعْمٌ سَلْسِيلًا ﴿ ١٨ ﴾

يشرب الأبرار من عين اسمها سلسبيل؛ لسهولة الشراب، وسلامته من الكدر، ويُسرّ تناوله، وسرعة مساعه.

﴿ ١٩ ﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثورًا ﴿ ١٩ ﴾

ويدور على الأبرار غلمان دائمون في النعيم، إذا أبصرت حسنهم وجمالهم ظننتهم اللؤلؤ البرّاق المضيء؛ لصفاء الألوان، وإشراق البشر، وبياض الأجسام.

﴿ ٢٠ ﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ تَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمَلَكًا كَبِيرًا ﴿ ٢٠ ﴾

وأينما نظرت في أي مكان من الجنة رأيت النعيم المقيم، والملك العظيم، خلود دائم، وسرور مستمر، وبهجة وقرة عين.

﴿ ٢١ ﴾ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُدُسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوْا أَسَاوِرَ مِّنْ فِضَّةٍ وَسَقَّهْمُ رُبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿ ٢١ ﴾

على أبدانهم ثياب من حرير رقيق أخضر يلي الأجسام، وظاهرها حرير سميك، وفي أيديهم أسورة من فضة، وشرابهم طاهر لا رجس فيه ولا نجس ولا دنس، كمل اللباس، وجمل المكان، وحسن الشراب ولذ.

﴿ ٢٢ ﴾ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيَكُمْ مَشْكُورًا ﴿ ٢٢ ﴾

ويهنؤون، فيقال لهم: هذا ما أُعدّ لكم ثواباً على أعمالكم الصالحة، وكان سعيكم مقبولاً مرضياً، فطوبى لكم بهذا الإنعام ومزيد الإكرام، وطيب الكلام.

﴿ ٢٣ ﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا ﴿ ٢٣ ﴾

أخبر - سبحانه - أنه نزل كتابه القرآن الحكيم على نبيه الكريم، وأنه وحي من عنده، وهو كلامه المحكم، وقد نزلّه منجماً.

﴿ ٢٤ ﴾ فَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَطِعْ مِنْهُمْ إِثْمًا أَوْ كُفُورًا ﴿ ٢٤ ﴾

فعليك بالصبر على ما حكم الله به، وقدر من قضاء قدري وشرعي ولا تتبع من انغمس في الشهوات، وتهالك في المحرمات، وكفر بالرسالات والآيات البيّنات.

﴿ ٢٥ ﴾ وَأَذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿ ٢٥ ﴾

وداوم على ذكر الله أول النهار وآخره؛ لأنها البداية والنهاية، ففي أوله قوة وعون، وفي آخره استغفار وتوبة.

﴿ ٢٦ ﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ، وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿ ٢٦ ﴾

وصل لربك متنفلاً واذكره كثيراً في وقت طويل من الليل، فتطوع الليل أفضل من تطوع النهار، وهذا هو الزاد في طريق المصاعب والمشاق.

﴿ ٢٧ ﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ يَجْعَلُونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذْرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿ ٢٧ ﴾

إن هؤلاء الكفار يحبون الدنيا ويقدمونها على الآخرة، ويعملون لها فحسب، ويتركون خلف ظهورهم الاستعداد للآخرة، ولا يسعون إلى النجاة من أهوال ذلك اليوم العظيم.

﴿ ٢٨ ﴾ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَلْنَا أَمْثَلَهُمْ بَدِيلًا ﴿ ٢٨ ﴾

والله وحده هو الذي خلقهم من العدم، وصوّرهم وأحكم خلقهم، وإذا أراد هلاكهم لا يمنعه من ذلك أحد، ويأتي بأطوع له منهم وأعبد لربه من هؤلاء الفجرة.

﴿ ٢٩ ﴾ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿ ٢٩ ﴾

إن هذه السورة الكريمة فيها موعظة عظيمة، فمن أراد النجاة سلك طريق الطاعة إلى الله ليصل إلى رضوانه والفوز بجنانه.

﴿ ٣٠ ﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿ ٣٠ ﴾

ولا يريد العباد أمراً من الأمور إلا بقضاء من الله وقدره، ولا تتم مشيئتهم إلا بمشيئة الله، إن الله عليم بالأعمال والأحوال والأقوال، حكيم في التدبير والتصوير والتقدير.

﴿ ٣١ ﴾ يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿ ٣١ ﴾

يدخل من أراد من العباد في رحمته بعمل ما يحبه، وفعل ما يرضاه، أما الظالمون المتجاوزون للحدود العاصون للمعبود، فقد هبأ لهم عذاباً موجعاً ونكالاً شديداً.

آياتها ٥٠	مكية	ترتيبها ٧٧
سورة المرسلات		

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ ١ ﴾ وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ﴿ ١ ﴾

أقسم الله - تعالى - بالرياح إذا هبت بعضها يتبع بعضها؛ كعرف الفرس في التتابع، وهو الذي أرسلها.

﴿ ٢ ﴾ فَأَلْعَصَفْتِ عَصْفًا ﴿

وأقسم - سبحانه - بالريح شديدة الهبوب، عنيفة السير التي تعصف بما يقابلها وتهلكه وتدمره، وهي أعتى الريح.

﴿ ٣ ﴾ وَالنَّشْرَتِ نَشْرًا ﴿

وأقسم بالرياح التي تنشر السحاب وتسوقه وتفرقه لِيُسْقَى به بلد ميت، وهي تنشر الأمطار في الأقطار.

﴿ ٤ ﴾ فَأَلْفَرَقْتِ فَرَقًا ﴿

وأقسم - تعالى - بالملائكة التي تأتي بالوحي تفرِّق به بين الحق والباطل، والحلال والحرام، والإيمان والكفر.

﴿ ٥ ﴾ فَأَلْمَلَيْتِ ذِكْرًا ﴿

وأقسم - سبحانه - بالملائكة التي تلقي الوحي من الله إلى الأنبياء، وسُمي ذكراً لشرفه؛ ولأنه يذكر الغافل واللاهي والناسي.

﴿ ٦ ﴾ عَذْرًا أَوْ نَذْرًا ﴿

والذكر فيه إعدار من الله إلى الخليفة، وقطع احتجاجهم بعدم الإرسال، وإنذار لهم من عذاب شديد إن لم يؤمنوا.

﴿ ٧ ﴾ إِنَّمَا تُوْعَدُونَ لَوْعًا ﴿

إن الذي تُوعَدُونَ من القيامة وما فيها من مشاهد وأحداث، كائن لا محالة، وحاصل لا راد له.

﴿ ٨ ﴾ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿

فإذا النجوم أظلمت، وذهب ضياؤها فأصبحت مسودة إيداناً بقيام الساعة.

﴿ ٩ ﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ﴿

وإذا السماء تصدّعت وتشققت فصارت أبواباً، وذهب هذا السقف المحكم والبناء الشديد.

﴿ ١٠ ﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ سُفَّتْ ﴿

وإذا الجبال دُكَّت وتناثرت في الهواء كالهباء، وتطايرت في السماء كالسراب في الصحراء.

﴿ ١١ ﴾ وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِنَتْ ﴿

وإذا الرسل وقّت أو قرّروا عيّن لهم أجل معلوم للحكم بينهم وبين الأمم، فأى يوم عظيم هذا اليوم الذي صار وقتاً للرسول؟!؟

﴿ ١٢ ﴾ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿

يا له من يوم عظيم أُخِرَتْ فيه الرسل ليفصل الله بينهم وبين أقوامهم، فيومٌ هذا شأنه يوم كبير جليل.

﴿ ١٣ ﴾ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ﴿

أخرت الرسل ليوم يفصل الله فيه بينهم وبين أقوامهم، فمن أطاع نجا، ومن عصى هلك.

﴿ ١٤ ﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ﴿

وما أنبأك - أيها الإنسان - بهذا اليوم وشدته وهوله، أنت لا تعلم شأنه ولا تدري بما يحصل فيه!!

﴿ ١٥ ﴾ وَبَلِّغْ بُرْهَانَ الْمَكْذِبِينَ ﴿

هلاك عظيم وعذاب أليم لمن كذّب بهذا اليوم، وجد هذا المشهد الذي وعد الله به.

﴿ ١٦ ﴾ أَلَمْ نَهَبْكَ الْأَوْلِينَ ﴿

أما أهلكتنا من سبقهم بالتكذيب؛ كقوم نوح وعادٍ وثمود، فقطعنا دابرهم وأبدنا خضراءهم.

﴿ ١٧ ﴾ ثُمَّ تَبِعَهُمُ الْآخِرِينَ ﴿

ثم نهلك الآخريين، فمن أتى بعدهم وكذّب المرسلين فنجعلهم كالسابقين بجامع التكذيب.

﴿ ١٨ ﴾ كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿

وهذه سنة الله في كل مجرم، وعادته في كل مكذّب، ويشمل هذا كفار مكة ففعايقهم كعقاب من قبلهم.

﴿ ١٩ ﴾ **وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ**

هلاك ودمار لمن كذَّبَ بالوهية الواحد القهار ورسالة النبي المختار ﷺ، في الدنيا خزي وفي الآخرة نار.

﴿ ٢٠ ﴾ **أَلَمْ تَخْلُقْهُمْ مِنْ مَّاءٍ مَهِينٍ**

أما خلقناكم من ماء حقيق في أصله ومكانه، وهو النطفة، فلماذا التجبر والتكبر والجحود؟

﴿ ٢١ ﴾ **فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ**

فوضعنا هذا الماء في محل حصين وهو رحم المرأة، محفوظ من الآفات، مصون عن التلف.

﴿ ٢٢ ﴾ **إِلَّا قَدَرٍ مَعْلُومٍ**

إلى أجل مسمى ووقت معلوم، وهو وقت الحمل بحساب دقيق دال على الحكمة.

﴿ ٢٣ ﴾ **فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ**

فقدرنا على الخلق والتصوير مع حسن التدبير في الحمل والولادة، فما أعظم المقدر، وأنعم به من مدبر.

﴿ ٢٤ ﴾ **وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ**

هلاك ودمار لمن كذَّبَ بقدره الواحد القهار في خلق الإنسان ونقله في جميع الأطوار.

﴿ ٢٥ ﴾ **أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ كَهَاتَا**

أما جعلنا الأرض ضامة للأحياء على ظهرها، والأموات في باطنها، أحياء لا يُحصون، وأموات لا يحصرون.

﴿ ٢٦ ﴾ **أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا**

أحياء على ظهرها لم يتضح لي معناها، يشربون ويسرحون ويمرحون، وأمواتا في جوفها يُنعمون أو يُعذبون، ويُحاسبون ويُسألون.

﴿ ٢٧ ﴾ **وَجَعَلْنَا فِيهَا رُوسًا شَمِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَكُم مَّاءً فُرَاتًا**

وجعلنا في الأرض جبلاً ثابتةً في الأعماق، طويلةً في الآفاق، رست أصولها وطالت رؤوسها، وجعلنا لكم ماءً عذباً زلالاً تشربونه، فمن الصخر تفجَّرَ النهر.

﴿ ٢٨ ﴾ **وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ**

هلاك ودمار لمن كذَّبَ بقدرتنا في خلق الأرض بطبقاتها من الأحياء والأموات، وخلق الجبال الرواسي والماء العذب.

﴿ ٢٩ ﴾ **أَنْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ**

سيروا إلى نار جهنم التي كنتم تكذبون بها في الدنيا، اليوم ترونها رأي العين، وتصلون حرها.

﴿ ٣٠ ﴾ **أَنْطَلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي تَلْتِ شَعْبٍ**

سيروا إلى ظل من دخان جهنم العظيم قد انقسم ثلاثة أقسام، فاستظلوا به، وهو حرٌّ شديد ولهبٌ رهيب.

﴿ ٣١ ﴾ **لَا ظِلُّهُ إِلَّا ظِلٌّ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ**

لا يُظِلُّ من الحر، ولا يغني من اللهب، فالحرُّ يشوي الوجوه، واللهب يحرق الأجسام، والدخان يسد الأنفاس ويخنق الناس.

﴿ ٣٢ ﴾ **إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ**

إن جهنم ترمي في سمائها بشرر، كل شرارة مثل القصر العظيم في البناء الشاهق في السماء، فهذا الشرر، فكيف النار!!!

﴿ ٣٣ ﴾ **كَأَنَّهُ يَمَلِكُ صُفْرًا**

كأنه إبِلٌ عظيمة سود تميل إلى الصفرة، قد اسودَّت النار من غضب الجبار، فقذفت بالمسود من الشرار.

﴿ ٣٤ ﴾ **وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ**

هلاك ودمار لمن كذَّبَ بهذه النار وما فيها من دخان وشرار؛ كأنه القصور أو الإبل الكبار.

﴿ ٣٥ ﴾ هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ ﴿

هذا يوم القيامة الذي لا ينطق فيه الكافر بكلام ينفعه، فليس له حجة تُقال، ولا عذر يُقبل.

﴿ ٣٦ ﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿

ولا يسمح لهم بالكلام في ذلك المقام، فيعتذرون؛ لأنه ليس لهم عذر، إذاً الكلام غير نافع والإذن به غير وارد.

﴿ ٣٧ ﴾ وَيَلُومُ يَوْمَئِذٍ الْمُكَذِّبِينَ ﴿

هلاك ودمار لمن يكذب بما جاء في هذا اليوم من عدم نطق الكافرين، وعدم السماح لهم بالعدر فيعتذرون.

﴿ ٣٨ ﴾ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأُولَىٰ ﴿

هذا يوم يفصل الله فيه بين الخلائق، جمعنا اللاحقين والسابقين والأولين والمتأخرين؛ ليوفي الله كلاً بما فعل.

﴿ ٣٩ ﴾ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ حِيلَةٌ فَاحْتَالُوا الْآنَ، وَإِنْ كَانَ عِنْدَكُمْ مَخْرَجٌ مِنَ الْعَذَابِ فَاسْلُكُوهُ؛ لَتَتَّجُوا مِنَ بَطْشِ اللَّهِ وَعَذَابِهِ، بَلْ لَا قُوَّةَ لَكُمْ وَلَا مَنعَةَ.

﴿ ٤٠ ﴾ وَيَلُومُ يَوْمَئِذٍ الْمُكَذِّبِينَ ﴿

هلاك ودمار لمن كذب بما ذكر من جمع الأولين والآخريين، وعدم قدرة الكافر على الاحتيال على الواحد القهار.

﴿ ٤١ ﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ﴿

إن المتقين لربهم بفعل أوامره واجتنب نواهيه في ظلال الأشجار الباسقة، والبساتين الغناء، والحدائق الفيحاء، ولهم

عيون صافية عذبة جارية.

﴿ ٤٢ ﴾ وَفَوَاكِهِ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿

ولهم في الجنة فواكه كثيرة لذيذة، يشتهونها بمذاقات شتى، وطعوم مختلفة، مع الأمن والسرور والنعيم والحبور.

﴿ ٤٣ ﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿

يُقال لهم: كلوا من أطيب الطعام وأحسنه، واشربوا من ألذّ الشراب وأحلاه معه الهناء والرضا؛ بسبب أعمالكم

الصالحة في الدنيا، فهذا ثوابٌ لذكاب السعي المشكور.

﴿ ٤٤ ﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿

بمثل هذا الجزاء من النعماء والأمن والرخاء والسلامة والسراء يُجَازَى كل محسن في عمله، متبع لرسوله، خائف من ربه.

﴿ ٤٥ ﴾ وَيَلُومُ يَوْمَئِذٍ الْمُكَذِّبِينَ ﴿

هلاك ودمار لمن أنكرا ما ذكر من نعيم للمتقين أعده الله للمحسنين .

﴿ ٤٦ ﴾ كُلُوا وَتَمَنَّوْا قَلِيلًا إِنَّكُمْ تُجْرَمُونَ ﴿

يُقال للكفار: كلوا يا فجار من لذائذ هذه الدار في قصر من الأعمار، فإن لذائذها منقطعة، ونعيمها زائل.

﴿ ٤٧ ﴾ وَيَلُومُ يَوْمَئِذٍ الْمُكَذِّبِينَ ﴿

هلاك ودمار لمن كذب بما ذكره الواحد القهار من أخبار الغيب.

﴿ ٤٨ ﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴿

وإذا قيل للكفار: صلُّوا للملك الجبار وأطيعوه واتبعوا رسوله، عصوا واستكبروا وجحدوا وأنكروا .

﴿ ٤٩ ﴾ وَيَلُومُ يَوْمَئِذٍ الْمُكَذِّبِينَ ﴿

هلاك ودمار لمن كذب بالرسالة، ورد الوحي وكفر به.

﴿ ٥٠ ﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿

فبأي كلام بعد هذا القرآن المعجز المفحم المبارك البين يؤمن هؤلاء الكفار؟ إذا لم يصدقوا بهذا الكتاب، فلا تصديق

لهم بكلام غيره.

الخاتمة

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾﴾

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿﴾

«رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، وَتُبَّ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ

الرَّحِيمُ».

«اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى

آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ

عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ».

«سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ

أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ».



فهرس بأسماء السور وبيان المكي والمدني

السورة	رقمها	الصفحة	مكية/مدنية
الملك	٦٧	٧	مكية
القلم	٦٨	١٠	مكية
الحاقة	٦٩	١٤	مكية
المعارج	٧٠	١٨	مكية
نوح	٧١	٢١	مكية
الجن	٧٢	٢٣	مكية
المزمل	٧٣	٢٦	مكية
المدثر	٧٤	٢٨	مكية
القيامة	٧٥	٣٢	مكية
الإنسان	٧٦	٣٥	مدنية
المرسلات	٧٧	٣٧	مكية



د. عائض القرني

التفسير الميسر

جزء بيلك

العبيكان
Obekan

ISBN:9960-54-178-9



9 789960 541785

ORD:000107-1

موضوع الكتاب: القرآن - التفسير الحديث

موقعنا على الإنترنت:

<http://www.obeikanbookshop.com>